# الإحالةُ بالضميرِ في سورةِ يس
## دراسةٌ في التماسكِ النصّي على وفق منهج فان دايك في التحليل النصّي

**م.د. شفق يوسف جدوع**
**جامعة بغداد/ كلية التربية للبنات/ قسم اللغة العربية**
shafaq@coeduw.uobaghdad.edu.iq

**(مُلَخَّصُ البَحث)**

يسلّط هذا البحثُ الضوءَ على وظيفةِ الضمير بوصفه أداةً من أدواتِ النسجِ النصّي في سورة يس، مستندا من الناحيةِ النظريةِ والإجرائية إلى منهجِ التحليل النصّي عند تون أ. فان دايك الذي أرسى أسسَ منهجٍ نحوي تداولي في فهمِ النصّ وتحليلِه انطلاقا من نحوِ الجملة، وباعتمادِ مقولاتٍ بنائيةٍ ذاتِ طابعٍ كلّي، أهمُّها مقولة "البنية الكبرى" التي كشف تحليلُ نصّ السورة على المستوى الموضوعي العميق بهديها إلى تلمس آثارِ وحدةِ نصّ السورةِ الموضوعية القارّة خلف تعدّد أنماطِ البسط الموضوعي في ثناياها، عن طريق تبيّن ما قامت به الإحالةُ الضميريةُ من وظيفةٍ أساسيةٍ في توفيرِ وسيلةِ الربط الدلالية الناسجةِ لنسيجِ النصّ، والحاملةِ لبنيته الموضوعية.

**الكلمات المفتاحية: الإحالة، الضمير، التماسك، النصّ.**

**المقدّمة**

ينهض تساؤلُ هذا البحث حول العلاقة المؤسَّسة بين استعمالِ الضمير في سورة يس و تماسكِ السورة بوصفها نصّا، ومن ثم حول وظيفةِ الضمير في تشكيل السورة نصّا من خلال إضفاءِ سمة التماسك على بنيتها النصّية، وتمنحنا نظرةُ الاستقصاء الى ورود الضمير في هذه السورة انطباعا أوليا يسبق تحليلَ بنيتها ويشير إلى أهمية دور الضمير فيها استنادا الى مقارنة عدد الضمائر البالغ (٣١٠) ضمائر بالقياس إلى عدد كلماتها البالغ (٨١٩) كلمة، أي بنسبة٣٧,٨% وهي نسبةٌ تؤكد ابتداءً فرضيةَ البحث القائمة على أن الإحالةَ بالضمائر أبرزُ ما منح متواليات الجمل في سورة يس سمةَ تماسكها، ومن ثمّ كانت أهمَّ أداةٍ من أدواتِ النسج النصّي للسورة. هكذا نحاول في هذا البحث تسليطَ الضوء على وظيفةِ الضمير بوصفه أداةً من أدوات النسج النصّي تلك. ولأن أيةَ عمليةٍ لتحليل النصّ تبقى قاصرةً عن تحقيقِ الغايةِ العلميةِ منها إن توقفت عند حدِّ الاستقراءِ و الإحصاءِ، وما لم تصدر عنهما بوصفهما خطوتيه الأوليين، لتنطلق بعدها في تبيّن الكيفية التي عملت

العناصرُ النصيةُ بموجبها على منحِ النصّ نصّيتَه، لأن التساؤلَ عن تلك الكيفيةِ مسبوقٌ بوضع نصّية النصّ موضعَ تساؤلٍ أولي، ومن ثمّ فإن الضرورةَ المنهجيةَ تقتضي صدورَ عمليةِ التحليلِ عن منهجٍ محدّدٍ واضحِ المعالمِ في ضوءِ منظومةِ مفاهيمَ وإجراءاتٍ تنتمي لنظريةٍ محدَّدةٍ في فهم النصّ. وقد طُرحت في إطار محاولات وضعِ منهجٍ محدَّد لتحليلِ بنيةِ النصّ وتشخيصِ مكامنِ تماسكها نماذجَ تحليلية مختلفة، ينهض في كلٍّ منها فهمٌ للنصّ يستند إلى أسسٍ نظريةٍ تنحاز تارةً إلى مقدّماتٍ مستمَدَّةٍ من العنايةِ بالبنيةِ وجوانبها النحوية، وتارةً أخرى إلى مقدّمات مستمَدَّةٍ من العنايةِ بالعالمِ الذي ينتمي إليه النصُّ والسياقِ الذي يتحقّق به التواصلُ بوساطةِ النصّ بين منشئه وسامعه، وتارةً أخرى من مقدّماتٍ مستمَدَّةٍ من محاولةِ تحقيقِ توازنِ العنايةِ بالجانبين، ومن أشهر تلك المحاولات ما عُرف بمنهج مدرسة براغ في التحليل النصّي، وما اقترحه هرالد فاينرش من منهج تجزيئي، وس. ج. بيتوفي من منهج تحليل توليدي، وتون أ. فان دايك الذي وصفت محاولتُه بأنها متقدّمةٌ في مجال إرساء نحوٍ للنصّ انطلاقا من نحوِ الجملة على أسسٍ تداولية منطقية. ومن المعلومِ أن نهجا في مقاربةِ المفهومِ يقتضي نهجا من جنسه في تناول الموضوعاتِ، من أجله سيهتدي البحثُ في مسار تناولِه لنصّ السورة النهجَ المعتمَد لدى من يستضئ بنحوِ الجملةِ في التعامل مع نحو النصّ، ومن ثمّ مع النصّ بوصفه بنيةً نحويةً بالدرجة الأساس. من أجل هذا وقعت عينُ الاختيار على منهج التحليلِ الذي وضعه فان دايك بسببٍ من تناغمِ هذا المنهج مع طبيعةِ النصّ القرآني الخاصة، ولأن المرونةَ العالية التي يتسم بها هذا المنهجُ تنسجم مع القولِ بأن المنهجَ في حقلِ اللغةِ يبقى ليس نهائيا وحاسما؛ لأن علما للنصِّ يتجاوز حقيقةَ أن النصَّ مساحةَ إنتاجٍ وتواصلٍ، تتمرّد مرونةُ حدودِها على صرامةِ وقطعيةِ المقولات العلمية، يتجاوز معيارَ العلمِ بالظاهرةِ الإنسانية ذاتِ الطابع المعقّد ومتعدّدِ الأبعاد، وهو ما أعلنه فان دايك بأمانةٍ حين وصف منهجَه بأنه محاولةٌ لإرساءِ أسسِ منهجٍ علمي في تحليلِ النصّ، من أجل هذا يبقى النصُّ في حالةِ حوارٍ مع أيّ منهجٍ مقترَحٍ لتحليلِه، يستجيبُ تارةً لحدودِه المقنّنة، وينفلت تارةً أخرى منها مانحا إياها فرصةَ المراجعةِ والتعديلِ والإضافة.

**مدخل نظري**

تنطلقُ رحلةُ البحث من بسطِ لمفهومَين أساسيين يستند إليهما التساؤلُ والفرضُ الأولي، ومن تبيانِ موجَزٍ لمنهج فان دايك في التحليل النصي الذي يتكئ على مقولة "البنية الكبرى".

**أما المفهوم الأول فهو: التماسك النصّي**

كانت بداياتُ تشكّل علم لغة النصّ في منتصف الستينيات من القرن الماضي تعبيرا عن الحاجة إلى تجاوزِ الجملة بوصفها الوحدةَ الأساسيةَ للتحليل اللغوي، وإيذانا بدخول حقبة "نحو النصّ" الذي يصف العناصرَ والعلاقاتِ اللغوية ضمن حدودٍ أوسع من حدود الجملة حيث تتشّكل الدلالات. ومذاك صار مجموعُ الجمل المتوالي على نحو متماسكٍ ومنسجمٍ هو ما يمثّلُ بنيةَ النظام اللغوي، وما انبثق منه مفهومُ "النصّ" الذي لا تتجاوز تعريفاتُه ذاتُ الطابع البنيوي على اختلافها هذا الوصف، ابتداءً من محاولات تأثيل المصطلح بالعودة الى العلاقة الدلالية بينه وبين الاسم (Textus) وهو النسيج أو الأسياخ المضفورة، والفعل (texere) الذي يعني نَسَجَ أو جَدَلَ الشعر في اللاتينية (هاينه من، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، صفحة ٤؛ هاينه من، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م)، وانتهاءً بكلّ محاولات رسم ملامح المفهوم المميِّزة التي يجمعها الاحتكامُ الى معاييرَ ثلاثةٍ في تحديد هوية النصّ الفارقةِ له عن الأشكالِ اللغوية الأخرى كالجملةِ والفقرة، على النحو نفسِه الذي تجتمع فيه سماتٌ ثلاث لأيّةِ قطعةٍ منسوجةٍ أو ضفيرة، لتكون كذلك، إذا بقينا أمناءَ لمنهج التأثيل في الفهم، فالوحدةُ والاستقلالُ والانغلاقُ هي ما يجعل قطعةَ النسيج أو الضفيرة كذلك، وهي ما يجعل مجموعةً متواليةً من الجمل تكوّن نصّا (د.فضل، ١٩٩٢، الصفحات ٢١٤-٢١٥)، لذلك حدّدها "معجمُ المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب" بما يمنح سلسلةً من الجمل "كيانا" (دومينيك، ١٤٢٨هـ -٢٠٠٨م، صفحة ١٢٧؛ تزيفيتان(2004, p. 109 , أما هذا التماسكُ الذي يمنح بنيةَ النصّ هويتَه اللغويةَ الفارقة، ويصطلح عليه في بعض الأدبيات العربية بـ"التناسق" أو "السبك"، فيندرج ضمن سبعةٍ من المفاهيم عيَّنتها أدبياتُ علم النصّ بالشروط المكوّنة لنصّية أيّ نصّ هي إضافة إليه: الانسجام، والقصد أو القصدية، والقبول أو المقبولية، والتناص، والإعلامية، ورعاية الموقف (دي بوجران، ١٩٩٨، الصفحات ١٠٣-١٠٥)، وله أدواتٌ ووسائلُ لغوية بنائية يتحقّق بها، منها الإحالةُ موضوع البحث، وله في الوقتِ نفسِه هويةٌ تتمثَّل في أنه البنيةُ الدلاليةُ الموضوعيةُ الداعمةُ لنسيجِ النصّ البنائي المترابط بأدوات الربط، والموحِّدةُ لأجزائِه حولَ نواةٍ واحدة، ما يبديه وحدةً دلاليةً لا محضَ علاقات بنائية، وما يدعو إلى فهمه ومعالجته بناءً على أنه (كلٌّ)، وما شكّل المشترَكَ النظري بين جملةٍ من مفاهيمِ النصّ لدى عددٍ من المنظرين له مثل هاليداي ورقية حسن و ر.هارفج وهـ. فاينرش ز.س.هاريس وجرهارد هلبش وتون أ. فان دايك وجانيس بيتوفي وألخيرداس جوليان

غريماس و أغريكولا (العيد، ٢٠١٤، الصفحات ٣٦-٤٠؛ زتسيسلاف، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، الصفحات ٦٢-٦٦؛ فهيمة، جانفي وجوان ٢٠١٢، الصفحات ٢٢٠-٢٢٢). ويتحدّد من جهة منشئ النصّ بوصفه ما يتبعه صاحبُ النصّ من استعمالٍ لما يكفل لنصّه سمةَ، ومن جهة متلقي النصّ بوصفه من سماته النصّية الأساسية والمعيار الذي يعتمده فهمُه من الناحية المعرفية للتمييزِ بين النصّ واللانصّ، ومن جهة محلِّل النصّ بوصفه مفهوما إجرائيا يرشده إلى جملةِ الوسائل اللغوية التي تهب للتتابع الجملي ارتباطا وتماسكا على نحوٍ دلالي خطي مثل الإحالة والتكرار والاستبدال والحذف والوصل (الصبيحي، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، الصفحات ٨٨-٩٦)، ومن ثمّ فإن أيَّ حديثٍ في البنية النصّية، أو عمليةَ تحليلٍ لنسيجِها لا يبتعد عن تقصّي مظاهرِه وأدواتِه وأهميتِه في إنتاجِ النصّ، بناءً على أن أيَّ حديثٍ عن التماسك النصّي هو حديثٌ عمّا يجعل بنيةَ النصّ مترابطةً، الأمر الذي حدى ببعض العلماء النصّيين إلى اعتمادِه معيارا للتعريف بالنصّ، إذ عرّفه ر.هارفج بأنه "تتابع مشكل من خلال "تسلسل ضميري متصل، لوحدات لغوية"" (زتسيسلاف، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، صفحة ٦٤).

**وأما المفهوم الثاني فهو: الإحالة بالضمير (الإحالة الضميرية)**

تتصدّر الإحالةُ بوصفها "العلاقات الاسترجاعية (العائدة) بين عنصرٍ وعنصرٍ آخر في السلسلة النصية" (جورج، ١٩٩٧م، صفحة ٢٣٨) قائمةَ الوسائل النصّية التي تكفل للنصِّ تماسكَه البنائي والموضوعي عن طريقِ وظيفتها الرابطةِ بين العناصر اللغوية والموضوعية، وتتحقّق بأدوات لغوية عديدة هي: (الضمائر، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، و ألفاظ المقارنة)، ففي كلِّ مرةٍ يرتبط عنصرٌ لغوي بآخر في حدودِ الجملة الواحدة أو خارج إطار الجملة تزداد بنيةُ النصّ التحاما، ويقوى تماسكُ أجزائها بعضها مع بعضها الآخر، ما يسند إليها (الإحالة) وظيفةً تأسيسيةً على صعيد طبقتي بنيةِ النص اللغوية (النحوية) والموضوعية، لذلك نتفق مع الرأي الذي يراها علاقةً دلاليةً، ومن ثمّ فإنها لا تخضع للضوابط النحوية بقدر خضوعِها للضابطِ الدلالي المتمثِّل في وجوبِ تطابقِ الخصائص الدلالية بين المُحيل وما يحيل عليه (خطابي، ٢٠٠٦م، صفحة ١٧). أما الإحالةُ بالضمير الذي يختصر قولُ الخضري (ت ١٢٨٧هـ) مفهومه لغويا واصطلاحيا بتعريفه على أنه: "فعيل من الضمور، وهو الهزال لقلة حروفه غالبا أو من الإضمار وهو الإخفاء لكثرة استتاره، ولأنه خفي في نفسه لعدم صراحته كالمظهر...ولذا يسمى مضمرا أيضا، ويسميه الكوفيون كناية ومكنيا أي كني به

عن الظاهر اختصارا" (الخضري، ٢٠٠٥م – ١٤٢٦هـ، صفحة ١١٠)، فهي من أبرز أدوات الإحالة النصية وأهمّها، ولعل أهميتَها تعود في المقام الأول إلى كثرةِ استعمالها في لغة النصوص المنطوقة والمكتوبة، وتبدو لطبيعةِ العلاقة الإحالية بين الضميرِ والعائدِ صورتان: فقد تتحقّق لغويا داخلَ النصّ نفسِه أو داخلَ النظام اللغوي، وقد تتحقّق بين عنصرٍ لغوي في النصّ وبين مرجِعٍ خارجي ينتمي للسياقِ الثقافي العام فيكون الحديثُ عن نوعين من الإحالةِ: نصّية/ داخلية، ومقامية/ خارجية، والفارقُ الأساسي بينهما من منظارٍ نصّي هو أن النصّية الداخلية تسهم بشكل مباشرٍ في ترابطِ النصّ، أما المقاميةُ فإنها تسهم في ترابطِ النصّ مع المقامِ والسياقِ أكثر من إسهامها في ربطِ البنية النصّية (خطابي، ٢٠٠٦م، صفحة ١٧). وقد يقربُ مدى الإحالة النصّية الداخلية حين يحيل الضميرُ على عائدٍ قريب يقعُ في الجملةِ نفسِها، وقد يبعد مداها حين يحيل الضميرُ على عائدٍ بعيد يقع خارجَ حدود الجلمة التي ورد فيها الضمير، وقد تتحقّق الإحالةُ بين الضمِير وعائدٍ سابقٍ عليه فتسمى "إحالة بعدية" وهي الغالبةُ في الاستعمال، وقد تتحقّق بين الضميرِ وعائدٍ سابق عليه وتسمى "إحالة بعدية". ويمكن وصفُ أنواع الإحالة الضميرية بالاعتبارات المختلفة بالمخطط الآتي:

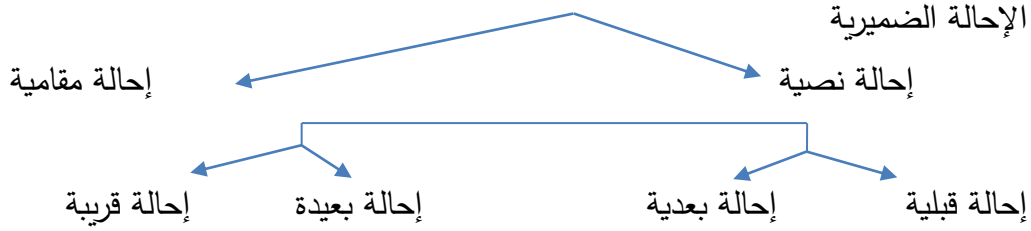


وقد أشار كلٌّ من هاليداي ورقية حسن إلى أن الضمائرَ من حيث نوع الإحالة يمكن تقسيمُها على نوعين: ضمائر الحضور بقسميها وهي ضمائر "أدوار الكلام" التي تحيل إلى خارج النصّ ولا تصبح إحالتُها داخليَة نصية إلا في فضاء النصّ السردي أو الكلام المُستشهَد به لأن مثلَ هذه النصوص تتضمن سياقا خاصا هو سياقُ الإحالة، تكون الإحالةُ داخله نصّية، أما ضمائرُ الغياب فلها أدوارٌ أخرى تكون إحالتُها على وفقِها خارجيةً أو داخلية (خطابي، ٢٠٠٦م، صفحة ١٨)، وتقرب هذه المقارنةُ المميّزة بين نوعي الضمائر من تلك المقارنة التي أشار إليها بعضُ علمائنا القدماء مثل الرضي الاستراباذي (ت٦٨٦هـ) حين رأى أن (الكناية) ويقصد بها الإضمارَ تتحقّق في ضمائر الغيبة فقط بقوله: "أنا وأنت ليس بكناية لأنه تصريح بالمراد، وضمير الغائب كناية إذ هو دال على المعنى بواسطة المرجوع إليه" (الاستراباذي، ١٩٩٨، صفحة ١٤٨)، والسيوطي (ت ٩١١هـ)

معتمدا معيارَ احتياج الضمير الى ما يفسّره بقوله: "ضمير التكلم والخطاب يفسرهما المشاهدة، وأما ضمير الغائب فعارٍ عن المشاهدة فاحتيج إلى ما يفسره" (السيوطي، د.ت، صفحة ٢٦٣)، وهو عينُ ما رآه تمام حسان من المحدثين العرب بقوله: "...والمعروف أن ضمائر المتكلم تفتقر إلى متكلم، وضمائر الخطاب تفتقر إلى مخاطب، فيكون المتكلم بمثابة المرجع لضميره، ويكون المخاطب كذلك، أما ضمير الغيبة فيفتقر في العادة إلى مذكور يعد مرجعا له" (حسان، (٢٠٠٠م، صفحة ١٣٨). ونرى أن المقارنةَ التي عقدها هاليداي ورقية حسن رفعت الإشكالَ في المقارنات القائمة على نزعِ قيمة الإضمار من ضمائر التكلم والخطاب، المتأتي من الخلطِ بين نوعي النصوص المنطوقة والمكتوبة، ففي النصوصِ التي تنشأ مكتوبةً أو تتحول إلى نصوصٍ مكتوبة كالنصّ القرآني، والنصوصِ الشعرية القديمة، ونصوصِ الأمثال والحكم الموروثة، والقصصِ والحكاياتِ وغيرها، تستعيد ضمائرُ التكلم والخطاب وظيفتَها الإضمارية عن طريق الإحالةِ على المتكلم أو المخاطب الذي لم يعد عنصرا من عناصر الموقف الاتصالي بعد تحول ثنائية (متكلم/مخاطب) إلى ثنائية (كاتب/قارئ)، فيتحول المضمَرُ في الضمير من حضورِه المباشِر الذي يفرغ الضميرَ من قيمته الإضمارية إلى غائبٍ منطوٍ في ثقافة المتلقي، محوّلا بذلك نوعَ الإحالة من نصّية إلى مقامية خارجية. وتختصر العلاقةُ بين الضميرِ وما يعود عليه وظيفةَ الضمير في السياقات التي يرد فيها، كما تُبرِز بشكلٍ واضِح قيمتَه الدلالية، فهو عنصرٌ دالٌّ في سياق معيّن بفضل علاقته بظاهرٍ يعود أو يحيل عليه، ويُصطلح عليه في أدبيات علم النصّ بـ"المفسِّر" من حيث أنه يفسِّر ما يدلّ عليه الضميرُ المبهم الدلالة. ومن دون ذلك الظاهر لا يتحقّق للضمير مضمونٌ دالّ، إذ تبقى قيمتُه الدلالية صفرية. وإذا كان الضميرُ (المُحيل) يؤدي وظيفتَه الدلالية داخل النصّ بالإحالة على المفسِّر، فإن للأخير وظيفةً دلالية لا تتوقف عند حدود تفسير ذلك الضمير المُحيل عليه، إذ يشير إلى معناه الخاص سواء كان ذاتا أو مكانا أو زمانا إشارةً أوليةً وهو بذلك "...كل مكوّن لا يحتاج في فهمه إلى مكوّن آخر يفسره" (الزناد، نسيج النص بحث في ما يكون به الملفوظ نصا، ١٩٩٣م، صفحة ١٢٩)، وهو دائما مفرد، وقد يكون معجميا متمثِّلا في كلمة وقد يكون نصّيا إذ يُحال على نصّ داخل النصّ الأكبر، وقد يكون رئيسيا يهيمن على النصّ من خلال عودة الضمائر عليه من أولِ النصّ إلى آخره فيرد في أوله، وقد يكون فرعيا تنتهي حدودُ الإحالة عليه بحدود نصّ فرعي داخل النصّ الأكبر (الزناد، بحث في ما يمكن أن يكون به الملفوظ نصا.

نسيج النص، ١٩٩٣، صفحة ١٢٨). وعلى مستوى النصوص الكبيرة مثل النصّ القرآني، يكون الحديثُ عن نوعين من العناصرِ الإحالية باعتمادِ معيارِ كثافةِ الحضور داخل النصّ، إذ تشيرُ كثافةُ حضور عنصرٍ إحالي ما إلى أهميته، ومن هذه الزاوية يُتحدَث عن "حامل إحالة" أو "عامل إحالة" رئيسي يردُ ذكرُه على مستوى النصّ كلِّه، وفرعي يرد ذكرُه ضمن النصّ الكبير في حدود جزءٍ منه. وسيتبنى البحثُ مصطلحَ "حامل إحالة" لأن تبني مُصطلح "عامل إحالة" ينتمي إلى وجهة النظر التي ترى الإحالةَ ثالثَ ثلاثةِ عوامل رابطةٍ للنصّ ناسجةٍ لبنيته مع عاملي التركيب، والربط الزمني (الزناد، نسيج النص بحث في ما يكون به الملفوظ نصا، ١٩٩٣م، الصفحات ١٧-١٢٤)، ونرى أن الربطَ التركيبي لا يقاسمُ الإحالةَ والربطَ الزمني، بل يستغرقهما بوصفهما أداتين له. فضلا عن أن التركيبَ من المفاهيمِ الواصفةِ لبنيةِ الجملة، ولا ينطبق تمامَ الانطباق على النصّ وإن كانت بنيةُ الجملةِ أساسيةً في تكوينه، إلا أن النصّ عابرٌ لحدود الجملة، لذلك يؤكّد من يقول بعاملية الإحالةِ أنها تتفوق على التركيب في أنها تعمل باتجاهين: تقدّمي (في حالة الإحالة البعدية)، وتراجعي (في حالة الإحالة القبلية)، وهي بذلك تتمتع بمرونةٍ عاليةٍ مقارنةً به، والسبب في ذلك يعود إلى أنهم ينظرون إلى النصّ على أنه جملةٌ كبيرة، والواقع أن النصَّ متواليةٌ من الجمل مرتبطةٌ بروابط إحالية وزمانية و "إذا كان النص يتكون من جمل فإنه "يختلف عنها نوعيا". إن النصَّ وحدة دلالية، وليست الجمل إلا الوسيلة التي يتحقق بها النصّ" (خطابي، ٢٠٠٦م، صفحة ١٣)، والدليلُ على ذلك أن التطورَ النظري الذي حقَّقه علمُ نحو النصِّ لم يقتصر على مجردِ توسيعِ مجالِ دراسته ليكون عابرا لحدودِ الجملة.

**في التحليلِ النصّي على وفقِ مقولةِ "البنيةِ الكبرى" عند فان دايك**

**بين نحوِ الجملة ونحوِ النصّ**

إذا كان موضوعُ علم النحو يتحدّد بالقواعد التي يكون التركيبُ على وفقها جملةً، فإن أيَّ تتابعٍ نصّي لا يمكن أن ينشأ إلا من تتابعٍ للجمل، وبذلك فإن أيَّ وصفٍ لذلك التتابع لا بدّ أن ينبني على وصفٍ للجملة. من هذه المقدّمة البسيطة ينطلق فان دايك لتحديد منهجِ فهم النصّ وتحليله، إذ تقوم نظريةُ النصّ البنائية ومنهجُ تحليله عنده على أساسِ مفهوم الجملة ومنهجِ تحليلها، والذي يدعوه لذلك أننا إذا فهمنا النصَّ على أنه تتابعٌ منسجمٌ متماسكٌ لمتواليات من الجمل، فإن ما يجعل بنيةَ جملةٍ ما متماسكةً هو ما يجعل تواليا من الجملِ نصّا، ومن ثم فإن كلا من النظريةِ والمنهج عنده يستلهمان نحوَ الجملة الذي يوجّه من جهته نحوَ النصّ،

فلا يوصف النصُّ إلا على وفقِ نحوٍ نصّي أساسُه بنيةُ الجملة. ويقارب دايك بناءً على هذا بنيةَ النصّ ببنية الجملةِ المركبة، إذ يقومُ الجزء المركّب في هذا النوعِ من الجمل بالوظيفةِ نفسها التي تقوم بها الجملةُ الواحدة في التتابع الجملي النصّي على الرغم من الاختلافات النسقية بينهما، وتبقى الدلالةُ المنطقية للقضية فاعلةً في توجيه فهم بنية الجملة لدى دايك، فهي على صعيد البنية ليست إلا جزءا معلوما لدى المتكلم والمتلقي (موضوع)، وجزءا يحمل معلومةً جديدةً الى المتلقي (محمول)، ويقترح على الجزء الأول اسمَ (المحور)، ذلك الذي سيعمل الجزءُ المتبقي من الجملةِ على الحديث عنه، ويسميه دايك (البؤرة). أما دلالةُ العلاقة بين المحور والقضية فتحيل الى واقعةٍ ما، قد تطابق الواقعَ الخارجي وقد لا تطابقه، وعليه فهي أما كاذبةٌ أو صادقة. أما الواقعُ فقد يكون فعليا وقد يكون افتراضيا تصوريا (فان دايك، ٢٠٠٥م، الصفحات ٤٥-٤٨). وقد انطلق فان دايك من مقدِّمةٍ ذاتِ ملامح توليديةٍ مفادُها أن نحوَ الجملة، بوصفه "علمَ بناء الجملة"، لا يمكن أن يفي بمتطلباتِ تحليلِ ما يتجاوز حدودَها ممثَّلا بالنصّ؛ لأنه يقصرُ عن استيعابِ عواملَ أساسيةٍ في إنتاجِه وفهمِه على صعيد الدلالة والتداول، فدعا إلى بناءِ نحوٍ للنصّ تمكّننا صياغةُ قواعدِه من وصفِ كلِّ القواعد النحوية التي تتحكّم في إنتاجِ النصوصِ وفهمِها ومن ثمّ إعادةِ تشكيل مفهوم الكفاءة اللغوية التوليدي (هاينه من، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، الصفحات ٤٨-٤٩)، فاتجه باتجاه عدِّ النصّ وحدةَ الوصف النحوي الأساسية، بناءً على أن القواعدَ الفاعلةَ في إنتاجِ المعنى وفهمِه لم تعد قواعدَ نحوِ الجملة بل أضحت قواعدَ نحوِ النصِّ التي ما هي إلا جملةُ القواعد الحيّة التي تحكم تشكيلَ بنية المعنى (د. بحيري، ١٩٩٧م، صفحة ٢١٩)، والتي يمكن كشفُها باعتماد أربع مقولاتٍ بنائية، تتعلق اثنتان منها بشكلِ النصّ وبنيتِه النحويةِ الأفقية هما: البنيةُ الدنيا ممثَّلةً بالجمل التي تؤلّف نسيجَ النصّ، والبنيةُ العليا التي تمثِّل نسيجَ النصّ النحوي المجرَّد، واثنتانِ تتعلقان ببنيتِه العموديةِ الدلالية هما: البنيةُ الصغرى التي تظهر معانيَ الجمل (القضايا)، والبنيةُ الكبرى التي تظهر المعنى الكلّي للنصّ، هكذا يقوم كلٌّ من البنية العليا التي هي "نوع من المخطّط المجرّد الذي يحدد النظام الكلي لنص ما" (فان دايك، ٢٠٠٥م، صفحة ٢١٢)، والبنية الكبرى التي هي "...تصور الترابط الكلي ومعنى النص الذي يستقر على مستوى أعلى من مستوى القضايا الفردية" (فان دايك، ٢٠٠٥م، صفحة ٧٥؛ د. مزعل، .السنة العاشرة ٢٠١٦)، على تأسيس مفهومِ النصّ عنده على أنه "...الصياغة النظرية المجردة المتضمنة لما يسمى عادة بالخطاب" (فان دايك،

النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، (٢٠٠٠م.، صفحة ١٩). وبانتقالِه من نحوِ الجملةِ إلى نحوِ النصّ يلفتُ فان دايك الانتباهَ، على غِرارِ ما فعله كثيرٌ من القائلين بالنحوِ العابرِ لحدودِ الجملة، إلى أن القواعدَ النحويةَ مجرّدةً من عناصرِ الجانبِ التداولي المتعلقةِ بسياقِ التواصل لا تسعفنا في بناءِ قواعد هذا النحو التي تهدف بشكلٍ عام إلى معرفةِ أنساقِ العلاقاتِ بين النصوصِ وسياقاتِ التواصل، وبشكلٍ خاص إلى تشكيلِ البنيةِ الدلاليةِ الكبرى العميقةِ تحت البنيةِ النحويةِ السطحيةِ في ذهن المتلقي أو القارئ لنصٍّ ما على أنها الخطابُ الذي يحمله ذلك النصُّ إليه (يقطين، ٢٠٠١م، الصفحات ١٤-١٦). وإذ بقي فان دايك ملتزما بمقدّماته النحوية ومنحاه البنيوي من جهة، وعنايتِه بالبعدِ التداولي الاتصالي من جهةٍ أخرى في فهمِ النصّ فقد تمتّع مفهوما الترابطِ النحوي، والتماسِك الدلالي النصّي على صعيد البنية الكبرى بأهميةٍ واضحةٍ في منهجِه، فالذي يعملُ على التشكيل الأساسي لبنى النصّ على مستوى الإنتاجِ والتلقي هو عواملُ الربطِ والتماسك، إذ يتماسك النصُّ دلاليا بفعلِ الترابطِ الدلالي العميق المتشكّل بين متواليات الجمل، وبهذا لا تعدُّ بالضرورةِ متواليةٌ من الجملِ مترابطةً نحويا نصّا، في حين يمكن أن تؤلّف متواليةٌ غيرُ مترابطةٍ نحويا نصّا، وبذلك فإنه يضفي على معيارِ المقبوليةِ الخاص بالمتلقي أهميةً تتساوى وأهميةَ معيار التماسك، ومن ثمّ ينسحبُ دورُ الترابط النحوي لحسابِ التماسكِ الدلالي الذي تخلقه البنيةُ الكبرى العميقة.

**موضوع النصّ**

بالعودةِ إلى سماتِ (الوحدة، والانغلاقِ، والاستقلالِ) آنفةِ الذكر لقطعةِ النسيجِ التي يُقارَب مفهومُ النصّ في ضوئها، فإن مفهوما لبنيةٍ عميقةٍ تحت سطحِ النسيج النصّي لا يمكن أن يكون ممكنا من دون هذه السماتِ وبالأخصّ سمةِ الوحدة، ويترجمها منهجُ فان دايك بـ"موضوع النصّ". هكذا فإن عمليةَ تحليلِ بنية نصٍّ ما لديه تهدف إلى الكشفِ عن مكوّنين لنسيجه البنائي، تبدأ بالمكوّن الأول ممثَّلا بالعلاقات النحوية الرابطة بين الجملِ بواسطة أدواتِ الربط الإحالي ومن ثمّ البنية العليا، وتنتهي بالمكوّن الثاني الذي يتشكّل تدريجيا بتلك العلاقات النحوية الدلالية بين مجموعة الجمل والقضايا التي تعبّر عنها الجمل، بناءً على "...أن العلاقات بين الجمل ذات طبيعة دلالية في الغالب، ومن ثم يستند فيها إلى معنى الجملة والإحالة" (فان دايك، ٢٠٠٥م، صفحة ٤٦)، ناسجةً بنيةً موضوعيةً حول نواةٍ موضوعيةٍ أساسية يُصطَلح عليها في علم النصّ بـ"موضوع النصّ" أو "ثيمته"

الأساسية (فان دايك، ٢٠٠٥م، صفحة ٧١). ويتجلّى نسيجُ النصّ البنائي على المستوى النحوي في تلك العلاقاتِ النحويةِ التي تقومُ بحبكِ البنيةِ بوسائلَ نحويةٍ تحمل في طيّاتها النسيجَ الدلالي القضوي الذي يحبك البنيةَ الموضوعيةَ الموحدةَ المُغلقةَ دلاليّا من خلال تمحورِها حول موضوعٍ واحد. من هذا المنظار تبدو البنيةُ الموضوعيةُ للنصّ الغايةَ النهائيةَ لأيّةِ عمليةِ تحليلٍ نصّي، ولا يكتفي ضوءُ التحليل الكاشف بإضاءةِ شبكةِ العلاقات الموضوعية، بل يكشفُ أيضا نمطَ بنيةِ العلاقات المتشكّلة بين جملةٍ من القضايا، مُظهِرا نمطَ بسط القضايا(نمطَ البسط الموضوعي) الذي قد يكون على المستوى الأفقي تتابعيا، أو على وفق نمطٍ بنائي مختلف ترد بموجبه القضايا في النصّ وروداً غيرَ متوالٍ، وفي بعض النصوص مع قفزات موضوعية بينية، ومن ثمَّ فإن لكلّ نصٍّ مخطَطَ بنيةٍ موضوعي مختلفا (فان دايك، ٢٠٠٥م، الصفحات ٢١٩-٢٥٤). ولا يعدّ اتضاحُ العلاقات الدلالية الرابطة بين القضايا المتتابعة في سياقٍ ما مهمّا من وجهة نظر نصّية إلا إذا كان لهذا الترابط قيمةٌ دلاليةٌ لموضوع النصّ (ثيمته)، ومن ثمّ للنصّ بوصفه كلّا. في ضوء هذا يمكن أن نفهم، في سياقٍ نصّي ما، كيف يمكن لقضايا معينة تعدُّ من الناحية الموضوعية منحرفةً عن سياقِ الترابطِ الأفقي الذي يربط القضايا المتتابعة، لكنها جزءٌ منسجمٌ لا ينقض بنيةَ التماسك النصّي بفضل علاقتِها الدلالية بموضوعِ النصّ (ثيمته). وإذ قرَّ في حقلِ علم النصّ أن ما لا يُفهَم بجملته على أنه موضوعٌ واحدٌ ليس بنصّ، فإن للموضوعِ الرئيس الذي يوحّد بنيةَ النصّ ملامحَ تجلّت على أيدي علماء النصّ الذين اعتمدوا هذا المفهومَ في بناءِ تصوّرٍ منهجي يُقارَبُ على وفقه مفهومُ النصّ، وتنهضُ نظريةٌ في فهمه، ولعلّ رائدَهم في هذا هو (تون. أ فان دايك) الذي ارتضى تسميةَ (البنية الكبرى) لما يُعدُّ في نظره الشرطُ الموضوعي الأساسي لنصّية النصّ.

يتسمُ هذا الموضوعُ الرئيس بأنه قطبُ بنيةِ النصّ الكلية الجوهري الذي تتجلّى ملامحُه الخاصة، وتأتلف جزئياتُ صورته في ذهن القارئ والمتلقي من خلال الوحدات القضوية المتمحورة حوله على نحو ساندٍ له، لذا فهو:

- يقومُ بدورِ الحامل الموضوعي العميق لأجزاء بنية النصّ السطحية، الموحّدِ لها على اختلاف أنماط بسطها الموضوعي، ويوصف من هذه الناحيةِ بأنه المنظِّم تنظيما سلّميا البنيةَ القضويةَ لمتتالية الجمل (فان دايك، ٢٠٠٥م، صفحة ٧٧).
- لا يُشترط فيه أن يكون مذكورا على نحوٍ صريح في النصّ، إذ لا يعدو بالأساس كونَه "مخطّطا مجرّدا" يحدّد نظامَ النصّ.

- يمكن التوصلُ إليه منهجيا من خلال أربعةِ إجراءات هي: الحذف، والاختيار، والتعميم، والتركيب أو الدمج، بمعنى أن البنيةَ الأفقيةَ للنصّ التي تتجلّى من خلال الروابط الناسجة للقضايا تجلّي بدورها البنيةَ الكبرى في ذهن المتلقي من خلال عمليات الاختزال والاستبدال لتترك الحضورَ يكون من نصيب ثيمة النصّ، ما يمكن إجمالُه في أنه الملخّصُ الأكثر كثافةً لمضمون النصّ، لذلك تختلف هذه القضايا فيما بينها من حيث درجة أهميتها لموضوع النصّ، وفي الوقتِ نفسِه فإنها تبقى متضَمنَةً في البنية الكبرى.
- ينسجم تماما مع وظيفة النصّ من وجهة نظرٍ تداولية وتواصلية (فان دايك، ٢٠٠٥م، صفحة ٨٠).

ولا ينطبقُ مفهومُ البنية الكبرى على نحوٍ صارمٍ على جميعِ النصوص بهذه البساطة الإجرائية التي يقدّمها توضيحُه المبسّط، إذ تمتلك بعضُ النصوص الطويلة أو الطويلة نسبيا (كالنصّ القرآني) بنيةً معقدةً تتعدّد فيها الأبنيةُ الكبرى بتعدّد المحاور القضوية في كلّ مرةٍ تأتلف جملةُ قضايا حول موضوعٍ محوري جامعٍ لها، ما يعني إمكانيةَ تضمّن النصّ الواحد أكثرَ من بنيةٍ كبرى، وفي إطار كلّ بنيةٍ منها تنضوي البنياتُ الصغرى (القضايا) (فان دايك، ٢٠٠٥م، صفحة ٧٨). ويمكن الاستدلالُ عليه بإجراء تتبّعٍ للإحالات المتكرّرة من أجل تحديد ما يسمى بـ(حامل الإحالة)، وهو ذلك المرجِع الذي يتكرّر من خلال الألفاظ المُحيلة عليه في النصّ، إذ يدلّ شيوعُ إحالةٍ ما أو أكثر من إحالة لمرجِعٍ واحد إلى الموضوعِ أو الموضوعاتِ الرئيسة في النصّ، وباكتشاف حاملٍ للإحالة أو أكثر في نصٍّ ما يتضح ما يسميه فان دايك (اللفظ المفتاح) الذي يكون كلمةً واحدةً أو جملةً، والذي يصفه بأنه الجزءُ المباشر من البنية الكبرى، ذلك الذي تمكّن الاستعانةُ به من تخمين تلك البنيةِ الكبرى (موضوع النصّ) (فان دايك، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، ٢٠٠٥م). هكذا، وفي إطار نصوصٍ كهذه، تنبني القضايا على شكلِ سلاسلَ كما يصفها فان دايك، ترتبط دلاليا تحت سقف المعنى الأعلى للنصّ بوصفه كلّا، وينبغي أن تبقى البنياتُ الكبيرة وما ينضوي تحتها من بنياتٍ أصغر وفيةً لمتطلبات الترابط الدلالي بوصفه شرطا بنائيا أساسيا على وفق قواعد (الحذف، والاختيار، والتعميم، والتركيب) التي تعمل على ضمانِ تماسكِ البنيةِ في فهم المتلقي بوصفها (القواعد الكبرى) التي "تجلب نظاما إلى ما لا تكون للوهلة الأولى إلا سلسلة طويلة ومعقدة من العلاقات" (فان دايك، ٢٠٠٥م، صفحة ٧٨). وحتى تصل هذه القواعدُ بذهن المتلقي إلى تنظيمِ معنى النصّ النهائي، فإنها تنتقل

بـه تباعـا مـن بنيـةٍ لأخـرى عـن طريـق مـا يـدعى بـ(التحويلات الدلاليـة) التـي تعمـل علـى إعـادةِ بنـاءِ الموضـوع المُسـتنبَط علـى نحـوٍ صـوري شـكلي (فـان دايـك، ٢٠٠٥م، صفحة ١٢٠ و ١٢٩).

**بين الإحالةِ وموضوعِ النصّ**

إن الحـديثَ عـن أهميـة الإحالـةِ بالضـمير بوصـفها أداةً أو وسـيلةً مـن وسـائل الـربط البنـائي لـنصٍ مـا هـو محاولـةٌ للكشـف عـن خارطـةِ الـروابطِ البنائيـةِ اسـتنادا إلـى المعطيـاتِ النصّـيةِ والسـياقية. ففـي كـلِّ مـرةٍ يـرد ضـميرٌ ليـربط جملـةً بـأخرى، أو تتابعـا جمليـا بـآخر، تنضـاف إلـى رصـيد تماسـك الـنصّ قيمـةٌ أخـرى، إذ تنضـاف رابطـةٌ دلاليـة إلـى جملـةِ الـروابط المؤلِّفـة لنسـيج الـنصّ، مـا يـوفر فـي النهايـة "الأسـاس النصّـي" الـذي يكـون صـريحا علـى مسـتوى سـطح الـنصّ، وضـمنيا علـى مسـتوى البنيـة الدلاليـة العميقـة لبنيـة نـصٍ مـا. هنـا تحديـدا تبـرز بوضـوحٍ أهميـةُ عمليـاتِ الإعـادة بوسـاطةِ الإحالـةِ (بالضـمير، أو اسـم الاشـارة، أو الاسـم الموصـول)، وغيرهـا (مثـل ذكـر المـرادف أو اللفـظ البـديل) فـي مـنحِ الـنصّ بنيـةَ الإعـادة النصّـية التـي تكفـل تماسـكه النحـوي قائمـةً بوظيفـة "البنيـة الحاملـة للصـلات الموضـوعية" (برينكـر، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٥م، صفحة ٥٩) عن طريق:

- توفيرِهـا الإشـارات الدالـة علـى الموضـوعاتِ الرئيسـة والفرعيـة ونمـطِ التكـرار المختلـف لعناصـرَ لغويـةٍ فـي الـنصّ، محـدِّدةً بـذلك حامـلَ الإحالـة المـرتبطَ موضوعيا بموضوعِ النصّ (ثيمته).
- تركيزِها مفاصلَ النصّ حول تلك الثيمةِ على صعيد التواصل.

مـن جانـبٍ آخـر، فـإن الإحالـةَ بالضـمير بوصـفها رابطـا نحويـا لا تعـدُّ كافيـةً لإحـداث التماسـك النصّـي إلا إن كانـت محمولـةً مـن بنيـةٍ دلاليـةٍ عميقـةٍ بـين الجمـل التـي لا يكفـي مجـرّدُ الـربطِ النحـوي لتوفيرِهـا، وهـذا يفسِّـر كيـف يهتـدي متلقـي الـنصّ (سـامعا أو قارئـا) إلـى تحديـد عائـد الضـمير فـي الجمـل المتعـدّدة علـى الـرغم مـن أن الأمـرَ يلفّـه شـيءٌ مـن الغمـوض أو اللـبس بسـبب تعـدّد الاحتمـالات الدلاليـة الناشـئ مـن احتمـال عـودةِ الضـمير علـى أكثـر مـن عائـدٍ قـد يصـل اخـتلافُ الاحتمـالات معـه حـدَّ التنـاقض، وليسـت احتمـالاتُ التأويـل الممكنـة المتعـدِّدة سـوى بنيـاتِ معنـى ممكنـة متعـدِّدة للـنصّ الواحـد، ولا يهتـدي المتلقـي إلـى الاحتمـال الـدلالي المقبـول إلا فـي ضـوءِ البنيـة الدلاليـة العميقـة، ومـن ثـم "...فالقاعـدة النحويـة تسـتند إلـى معيـار دلالـي أساسـا" (د. بحيري، ١٩٩٧م، صفحة ٢٣٧).

**البنية الإحالية الناسجة لنصّ السورة**

**١. في الاستدلال على الموضوع الرئيس (الثيمة) في السورة**

**حملةُ الإحالة في السورة**

**حامل الإحالة الأول: "يس"**

وقد حدّد المفسرون له وظائفَ تختلف باختلاف توجيههم النحوي له في سياقه توزعت بين:

- النداء، على اختلافٍ حول تقدير المنادى به إن كان: يا إنسان، أو يا محمد ، أو يا رجل، أو سيد البشر، أو يا سيد والمقصود به النبي (ﷺ).
- التسمية، على اختلافٍ حول تقدير المسمّى به إن كان: القرآن، أو النبي(ﷺ)، أو اسم من أسماء الله تعالى.
- القسم، على أنه اسم من أسماء الله تعالى.
- الافتتاح، وبذلك يكون مجرّدَ كلمةٍ تُفتتح بها السورة، وتقوم بالوظيفةِ ذاتها التي تقوم بها الحروفُ المقطّعة في أوائل السور القرآنية (الطبري، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م، صفحة ٢٦٤؛ الزمخشري، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م، صفحة ٨٨٩؛ الاندلسي، ٢٠١٠م، صفحة ٣١٠؛ الرازي، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م، صفحة ٤٠؛ الطبرسي، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م، صفحة ١٩٦).

ونحن نميل إلى الاتفاقِ مع الرأي الذي يرجّحه نداءً للنبي (ﷺ) بدليلِ قوله تعالى في الآية الثالثة " إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ" (الرازي، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م، صفحة ٤٠؛ القرطبي، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م، صفحة ٤)، ما ينسجم مع القراءةِ ذاتِ الطابع النصّي للسورة، وعلى وفقِ منهجِ هذه القراءةِ تتجلّى لكلمة (يس) ثلاثُ وظائفَ رئيسةٍ في السورة، يدلّنا عليها تتبّعُ تكرارِها الإحالي عن طريقِ الضمائر المُحيلة على شخصِ النبي، وتصدّرُها آياتِ السورة، فهي بذلك:

١. حاملُ الإحالةِ الذي يشير إلى موضوعٍ رئيسٍ في السورة.
٢. الفرضيةُ السابقة التي تصدّرت بنيةَ النصّ مع جملةٍ من القضايا المؤسِّسة التي ستأتي القضايا الأُخر مبنيةً عليها وحولها، تأكيدا وتعليلا، ما سيشكل القضية المحور التي ترتبط ارتباطا وثيقا بنواة النصّ أو موضوعه.
٣. "اللفظُ الثيمة" الذي تصدّر السورةَ بوصفه عنوانا لها، والذي يقوم بـ "...الوظيفة الإدراكية المهمة التي تهيئ القارئ أو السامع لأن يبني التفسير الأكبر (الصحيح)، للنص" (فان دايك، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، ٢٠٠٥م، صفحة ٨٨).

وهو ما سيتضح حين نبسط الحديثَ حول البنيات الكبيرة في السورة، تلك التي سيبين التحليلُ عن وظيفة الإحالة بالضمير في ربطها على نحوٍ متماسك حول نواة الموضوع، أما حاملُ الإحالة الأول "يس" فقد ابتدأت السورة به وهو أولُ ذكرٍ له، ثم تكرّرت الإحالةُ عليه (١١ مرة) في (٨) آيات بضمائرَ مختلفةٍ يبديها الجدولُ الآتي:

| الضمير | الآية | نوع الإحالة | عدد مرات الإحالة به |
|---|---|---|---|
| ضمير الخطاب الظاهر (الكاف) المتصل | ٣، ٧٦ | نصية / قبلية / بعيدة | ٢ |
| ضمير الخطاب المستتر (أنت) | ٦، ١٠، ١١، ١٣ | نصية / قبلية / بعيدة | ٥ |
| ضمير الخطاب الظاهر (تاء الفاعل) | ١٠ | نصية / قبلية / بعيدة | ١ |
| ضمير الغائب (الهاء) الظاهر المتصل | ٦٩ | نصية / قبلية / بعيدة | ٢ |
| ضمير الغائب (هو) المستتر | ٧٠ | نصية / قبلية / بعيدة | ١ |

ولتتضحَ صورةُ هذا الموضوع الرئيس على المستوى الكلي في السورة سنعمد إلى جمعِ الآياتِ التي خصّته في موضعٍ واحد يظهرُه النصُّ الموجز: "يس (١)، إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٣)، لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ (٦)، وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠)، إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ (١١)، وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ (١٣)، وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ (٦٩)، لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧٠)، فَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ(٧٦)". وبيّنٌ كيف نسجت الإحالةُ النصيةُ القبليةُ البعيدةُ بالضمائر المختلفة الى شخص النبي(ﷺ) بوصفه حاملَ الإحالة الأول، هذه البنيةَ المبسوطةَ على طول النصّ بوصفها موضوعا رئيسا تتكرّر العودةُ الى ذكره بعد فواصلَ موضوعية تمثّلها بنياتٌ كبيرةٌ، تعمل بواسطة التحويلات الدلالية على تأكيدِ ثيمةِ السورةِ التي تكتنزها الآياتُ الخمسُ الأُول: "يس (١) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (٢) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٣) عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤) تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ"، والمتمحورةُ حول أقطاب العقيدة الثلاث: الله، القرآن، الرسول، والتي ما هي إلا عناصر الرسالة

السماوية الثلاث: السماء (المُرسِل)، الرسالة (الكتاب)، المُرسَل (النبي)، هكذا يمكن أن نفهم العودة إلى الإحالة عليه في الآية (٦٩) بعد ذكره في الآيات الأول، ثم في الآيتين (٧٠ و ٧٦)، لا على أنها قفزةٌ لا تعكس تماسكَ النصّ، بل رابط سبك بنيةَ النصّ الكلية عن طريق تكرار ذكر موضوعٍ مقدَّمٍ رئيسٍ في السورة، لذا لا نتفق مع الطاهر بن عاشور حين ذهب إلى أن هذه الآيةَ متعلقةٌ بما قاله تعالى في الآية (٤٦) "وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ" بعد أن خصَّ دلالةَ كلمة (آية) هنا بآيات القرآن (بن عاشور، ١٩٨٤م، صفحة ٣١)، لأن الآياتِ المقصودةَ هي الأدلةُ والبراهين الواقعية والكونية المعروضة في الآيات (٣٣ – ٤٤)، ولا نتفق معه أيضا على قوله: "وضمير "علمناه" عائد إلى معلوم من مقام الردّ وليس عائدا إلى مذكور إذ لم يتقدم له معاد" (بن عاشور، ١٩٨٤م، صفحة ٥٦)، وما يقصده أن الرسولَ لم يذكر ذكرا صريحا لذا فالإحالة عليه مقامية، وهو خلافُ ما نذهب إليه، إذ لا مانعَ من وجهةِ نظرٍ نصّيةٍ من عودةِ الضمير على متقدّمٍ بعيدٍ في النصّ ما دامت الإحالةُ تقوم بوظيفةِ حملِ البنية الموضوعية الكلية.

**حاملُ الإحالة الثاني: "الله" جلّ جلاله.**

وقد أخّرنا ذكرَه عن حامل الإحالة الأول (يس) محاكاةً لنسيج نصّ السورة الذي قدّمه عنوانا وافتتاحا، أما تكرارُه الإحالي فيفوق تكرارَ الحامل الأول، إذ تكرّر ذكرُه (٨٦) مرةً في (٤٨) آيةً، في (٥٦) مرةً منها تمّت الإحالةُ عليه سبحانه بضميرٍ مناسب، ويمكن رصدُ صوت الذات الإلهية واضحا ابتداءً من الكلمة الأولى (يس) سواء كانت نداءً أم قسما بتقدير منادٍ للنبي (فاعل لفعل النداء)، أو مقسِمٍ بالقسم (فاعل لفعل القسم) بناءً على أن النداءَ والقسمَ فعلين وإن لم يظهر الفعلُ ظهورا صريحا في السياق، ومثله قوله تعالى في الآية (٣٠): "يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ"، ويظهر جليّا كذلك في الآيةِ الثالثةِ بقوله تعالى "إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ"، إذ يدلّ ضميرُ الخطابِ (الكاف) على فعلِ الخطابِ الموجَّه للنبي، والذي لا بدّ له من فاعل (مُخاطِب)، حتى يذكرَ صراحةً في الآيةِ الخامسةِ بقوله تعالى "تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ"، وهو أول ظهورٍ صريحٍ للفظٍ دالّ على حامل الإحالة الثاني، ليدأب هذا الصوتُ على الظهورِ حتى نهايةِ النصّ بضمائرَ مختلفةٍ يغلب عليها أن يكون ضميرَ المتكلم للجمع. إلا أن تنوّعَ البنياتِ الكبيرة داخلَ النصّ وتعدَّدها عدّد ونوّع من جانبه كيفياتِ ظهور هذا الصوت، إذ طغى صوتُ المتكلِّم على النصّ بالإحالةِ على الذات الإلهية إحالةً مقامية قبلية بعيدة تبيّنها الكلمات: (إِنَّا، جَعَلْنَا، وَجَعَلْنَا، فَأَغْشَيْنَاهُمْ، إِنَّا، نَحْنُ، نُحْيِي، وَنَكْتُبُ، أَحْصَيْنَاهُ، أَرْسَلْنَا، فَعَزَّزْنَا، أَنْزَلْنَا، كُنَّا، أَهْلَكْنَا،

لَـدَيْنَا، أَحْيَيْنَاهَـا، وَأَخْرَجْنَـا، جَعَلْنَـا، فَجَّرْنَـا، نَسْـلَخُ، قَـدَّرْنَاهُ، أَنَّـا، حَمَلْنَـا، خَلَقْنَـا، نَشَـأْ، مِنَّـا، لَـدَيْنَا، أَعْهَـدْ، اعْبُـدُونِي، نَخْـتِمُ، وَتُكَلِّمُنَـا، نَشَـاءُ، لَطَمَسْـنَا، نَشَـاءُ، لَمَسَـخْنَاهُمْ، نُعَمِّـرْهُ، نُنَكِّسْـهُ، عَلَّمْنَـاهُ، أَنَّـا، خَلَقْنَـا، ذَلَّلْنَاهَـا، إِنَّـا، نَعْلَـمُ، أَنَّـا، خَلَقْنَـاهُ، لَنَـا، خَلَقْنَـاهُ، يُحْيِـي). ويجمل وصفَها الجدول الآتي:

| الضمير | عدد مرات ذكره |
|---|---|
| ضمير الجمع المتكلم (نا) الظاهر المتصل | ٣٤ |
| ضمير الجمع المتكلم (نا) المستتر | ٩ |
| ضمير الجمع المتكلم الظاهر المنفصل (نحن) | ١ |
| ضمير المتكلم المفرد المستتر | ١ |
| ضمير المتكلم (الياء) الظاهر المتصل | ١ |
| ضمير الغيبة للمفرد (هو) المستتر | ١ |

إلا فـي آيـات القصـصِ والمشـاهدِ الأخرويـة حيـث يكـون سـياقُ الإحالـة نصّـيا داخليـا عائـدا علـى الـذات الإلهيـة، وحيـث يتحـول سـياقُ القصـة أو المشـهد إلـى سـياق نصّـي للإحالـة، وفـي الآيـات الخمـس الأخيـرة: "قُـلْ يُحْيِيهَـا الَّـذِي أَنْشَـأَهَا أَوَّلَ مَـرَّةٍ وَهُـوَ بِكُـلِّ خَلْـقٍ عَلِـيمٌ (٧٩) الَّـذِي جَعَـلَ لَكُـمْ مِـنَ الشَّـجَرِ الْأَخْضَـرِ نَـارًا فَـإِذَا أَنْـتُمْ مِنْـهُ تُوقِـدُونَ (٨٠) أَوَلَـيْسَ الَّـذِي خَلَـقَ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَـادِرٍ عَلَـى أَنْ يَخْلُـقَ مِـثْلَهُمْ بَلَـى وَهُـوَ الْخَـلَّاقُ الْعَلِـيمُ (٨١) إِنَّمَـا أَمْـرُهُ إِذَا أَرَادَ شَـيْئًا أَنْ يَقُـولَ لَـهُ كُـنْ فَيَكُـونُ (٨٢) فَسُـبْحَانَ الَّـذِي بِيَـدِهِ مَلَكُـوتُ كُـلِّ شَـيْءٍ وَإِلَيْـهِ تُرْجَعُـونَ". حيـث أحالـت ضـمائرُ الغيبـة إحالـةً قبليـةً قريبـةَ المـدى علـى الاسـمِ الموصـول (الـذي) بوصـفِه المفسِّـر لهـا، والـذي يقـوم هـو أيضـا بـدور الإحالـة علـى الـذات الإلهيـة كمـا تفعـل الاسـماءُ الموصـولة، وهـو مايبينـه الجدول الآتي:

| الضمير | عدد مرات ذكره |
|---|---|
| ضمير الغائب (هو) المستتر | ٦ |
| ضمير الغائب (الهاء) الظاهر المتصل | ٣ |
| ضمير الغائب (هو) الظاهر المنفصل | ٢ |

وظـاهرةٌ هـي دلالـةُ هـذا التكـرار الإحـالي، فصـوتُ اللهِ تعـالى يطغـى فـي الـنصّ علـى نحـوٍ يجعلـه الموضـوعَ الأسـبق مـن حيـثُ الترتيـب علـى وفـق نسـبة الـورود فـي الـنصّ مقارنـةً بحامـل الإحالـة السـابق الـذي يمثِّـل الموضـوعَ الآخـر، هكـذا يتعـاور الموضـوعان (الله، والنبـي/ المُرسِـل، والمُرسَـل) علـى الظهـور التكـراري فـي الـنصّ، إذ لا تخلـو، كمـا سيتضـح، أيّـةُ بنيـةٍ كبيـرة مـن حضـورهما أو حضـور أحـدهما. ولعـل

أبرزَ ما يلفت نظرَ قارئ النصّ هذا الحضورُ اللافتُ لصوت الله تعالى في النصّ من خلال الإحالةِ على ذاته بضمير المتكلم، وفي كلّ مرةٍ ترتبطُ الإحالةُ عليه بقدرةٍ الهيةٍ ما.

**حامل الإحالة الثالث: " قَوْمًا"**

يردُ الذكرُ الأول لهذا الحاملِ متأخرا عن حاملَي الإحالة الأول والثاني (النبي، الله جلّ جلاله)، فبعد أن ذُكر كلاهما في أولِ السورة (الآيتين ١و ٣)، يردُ حاملُ الإحالة الثالث في الآية الخامسة بقوله تعالى: "لِتُنْذِرَ قَوْمًا"، والمقصود هم قوم الرسول (ﷺ)، واللافتُ للنظر في هذا الحامل أنه الأوفرُ حظا في الذكرِ على مستوى النصّ كلِّه، إذ تكرّرت الإحالةُ عليه (١٤٤) مرةً، مثلما تكرّر ذكرُه في النصّ بتنوّع الألفاظ المعبّرة عنه، ما يعدّ كما ذكرنا نوعا من أنواعِ الإحالة النصّية السابكِ لنسيج النصّ وبنيتِه الموضوعية، ولعلّ ما في الآيات الأول من إشارةٍ إلى ثالوثِ الرسالةِ السماوية (المرسِل، الرسول، المرسَل إليهم) ما يكشفُ علاقةَ الترادف الموضوعية التي تجمع الألفاظَ المعبّرةَ عن هذا الحامل في سياق نصّ السورة، إذ ابتدأ النصُّ بالإشارةِ الى المرسَل إليهم بكلمة "قوما" في الآيةِ (٥) التي عرضت الغايةَ الإلهيةَ من إرسال الرسول، ثم عاد ليخصِّص عموما في الكلمة فحصر عمليةَ الإنذار في "مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ" في الآية (١١)، ثم أبقى المنذَرين معنيين بالخطاب الإلهي في المركب الإضافي الذي تصدّر قصةَ أصحاب القرية في الآية (١٣)، المذكورةَ في معرض ضرب المثل القرآني الذي يقصد منه أن "... يؤثر في القلوب ما لا يؤثره وصف الشئ في نفسه، لأن الغرض من ضرب المثل: تشبيه الخفي بالجلي، والغائب بالشاهد" (الاندلسي، ٢٠١٠م، صفحة ٢٠٧)، ما يدلّ على أن "أصحاب القرية" هم المنذَرين أنفسَهم لكن بأسلوبِ المَثَلِ القصصي المضروبِ للعبرةِ والعظة، وتبقى الإحالاتُ الضميريةُ في سياق قصة أصحاب القرية دائرةً في الفلك الدلالي نفسه، حتى ينتقلَ النصُّ في الآيةِ (٣٠) إلى التعميم باستعمال لفظ "العباد" الذي يشمل المنذَرين عامة من قومِ النبي وأقوامِ الأنبياءِ الآخرين، وكلَّ منذَر حتى يومِ الدين، تأكيدا على استمرارِ وظيفةِ الرسالة السماوية وشموليتها، ثم يعود النصُّ بالتوجه إلى قوم النبي مرةً أخرى لكن بعبارة "الَّذِينَ كَفَرُوا" في الآية (٤٧): "وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آَمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ" الذين اختلف المفسرون حول المعنيّ بهم في ضوء روايات أساب النزول للآية بين أن يكونوا اليهودَ أو مشركي قريش أو الزنادقة وهو السبب الذي دعا إلى عدِّها مدنية

من بين الآيات المكية (الطبرسي، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م، صفحة ١٩٧؛ القرطبي، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م، الصفحات ٣٦-٣٧؛ الزمخشري، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م، صفحة ٨٩٦)، ومنطقُ النظر النصّي يقف إلى جانب القاعدة المشهورة في أدبيات علوم القرآن "المورد لا يخصِّص الوارد" أو "العبرةُ بعموم اللفظِ لا بخصوص السبب" (العيد، ٢٠١٤، الصفحات ١٠٥-١١١)، لأن النظرَ إلى القرآن الكريم بوصفِه نصّا واحدا لا يدع مجالا لاستثناءِ أجزاء منه، فضلا عن أن الخطاب قد عاد بالتوجه إلى المنذَرين ومنهم قوم النبي منذ الآية (٣١) حيث يسترسل النصُّ في عرضِ الآيات حتى الآيتين (٤٥ و ٤٦) اللتين تنقلان الحوارَ معهم بتصدرهما قوله تعالى: "وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ"، وفئة "الَّذِينَ كَفَرُوا" من المتحاورين منهم. ثم يعود ذكرُ المنذَرين بتعبيرٍ أكثر عموميةً من ذي قبل هو "بَنِي آَدَمَ" في الآية (٦٠) التي تصوّر مشهدا أخرويا يتوجه فيه الخطابُ الإلهي إلى فئتي أصحابِ الجنة وأصحابِ النار، وهنا يستثمر النصُّ هذا المشهدَ للعودةِ إلى مخاطبة المنذَرين "أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آَدَمَ..."، حتى ينتقل النصّ انتقالتَه الأخيرة في التعبير عنهم باستعمالِ الألفاظ ذاتِ الدلالة العامة فيقول تعالى في الآية (٧٧): "أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ". هكذا نرى أن النصَّ أبقى على بنيته متماسكةً دلاليا بواسطة الإحالة التكرارية عن طريق تكرار ذكرَ المرسَل إليهم بصورٍ مختلفة من خلال ألفاظٍ وتراكيبَ متنوعة (قوم، من اتبع الذكر، أصحاب القرية، العباد، الذين كفروا، بني آدم، الإنسان) يتفق جميعها، مع اختلافها في الخصوص والعموم من الناحية الدلالية، على أنها مصاديقُ متنوّعة للمرسَل إليهم (المنذَرين)، ثم طغت الإحالاتُ الضميريةُ عليهم بطريقةِ الإحالةِ النصيةِ القبلية مختلفةِ المدى في ثنايا أجزاءَ النصّ على اختلافِ موضوعاتها، والجدولُ الآتي يحصي الإحالةَ بالضمير عليهم في النصّ:

| الضمير | عدد مرات الإحالة به |
|---|---|
| ضميرِ الغيبة الظاهر المتصل للجمع (هم) | ٤٨ |
| ضميرِ الغيبة الظاهر المنفصل للجمع (هم) | ٧ |
| ضميرِ الغيبة الظاهر المنفصل للمفرد (هو) | ١ |
| ضميرِ الغيبة الظاهر المتصل للمفرد (الهاء) | ٣ |
| ضميرِ الغيبة المستتر للمفرد (الهاء) | ٣ |
| ضمير الجماعة الظاهر المتصل (الواو) | ٥٣ |
| ضميرِ الخطاب الظاهر المتصل للجمع (أنتم) | ٤ |
| ضميرِ الخطاب الظاهر المنفصل للجمع (أنتم) | ٢ |

| | |
|---|---|
| ضميرِ الخطاب المستتر للجمع (أنتم) | ٢ |
| ضميرِ الخطاب (الكاف) المتصل | ١١ |
| ضمير المتكلم للجماعة الظاهر المتصل (نا) | ٧ |
| ضميرِ المتكلم المستتر للجماعة (نحن) | ٢ |
| ضمير الخطاب للمفرد الظاهر المتصل (التاء) | ١ |

ما يعني أنه حاملُ الإحالةِ المهيمِن على النصّ كلِّه، وما يلقي ضوءا يكشف الأهميةَ البالغةَ وغيرَ الظاهرة بشكلٍ مباشر للعنصر الثالث من ثالوث الرسالة السماوية (المرسِل، المرسَل، المرسَل إليهم) في هذه السورة، إذ يبدو أنه نصٌّ موجَّه بكلّيته إلى موضوعِ مهمةِ الإرسال السماوية والمقصودين منها حيث تتحقّق الغايةُ من إرسالِ الرسل والأنبياء. وربما يدلّنا على هذا وضعُ أولِ النصّ إزاء آخره، إذ تمحور أولُ النصّ حول مقوّمات الإرسال المتمثلة ،كما رتبها النصُّ، بالرسولِ والكتابِ المنزَل معه والمصدرِ الإلهي "يس. وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ. إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ. عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ" ، المتلوةِ مباشرةً بذكرِ المرسَل إليهم "لِتُنْذِرَ قَوْمًا"، ليختمَ بنيتَه بذكرِهم المشفوعِ بذكرِ الملك المطلق لله ومصيرِهم المحتومِ بالعودةِ إليه"الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ".

**٢. في بنيات سورة (يس) الكبيرة**

**أصول العقيدة الإيمانية**

تقدّم أن للبنيات الكبيرةِ طبيعةَ النسيجِ نفسِه الذي للبنية الأكبر، ومن ثمّ فإن كلَّ بنيةٍ كبيرة هي بقدرٍ ما داخلَ نصّ طويل نصٌّ مصغّرٌ، تُقارَب وظيفتُه بما تقومُ به الجملةُ البسيطة في إطار الجملة الكبيرة المركبة، إذ تقومُ بموضوعٍ يوحد أجزاءها في إطار الموضوع الرئيس للنصّ بواسطة روابط نصّية وعلائق دلالية، وستسير بنا سورةُ يس نحو بنياتها الكبيرة في رحلةٍ شيّقة، تُظهر لنا مدى عمق الترابط الموضوعي الذي يربط قضاياها وأجزاءَها النصّية، ومدى تماسكِ نسيجها النصّي المتمحور حول الموضوعات الرئيسة التي توجز السورةُ ذكرَها في الآيات الست الأولِ ذوات الموضوع الواحد. أما الآياتُ الخمس الأول منها فهن البنيةُ الكبيرةُ الأولى التي تعرض أصولَ الإيمان الثلاثة وأقطابَ القضية الإيمانية: الله، الكتاب، النبي، لتكون السورةُ بمجملها في مرحلة الإسلام المكية خطابا يعلن أن محمدا رسولٌ، يحمل إليهم رسالةً سماويةً بين دفتي كتاب مُنزَل: "يس (١) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (٢) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٣) عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤) تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ(٥)"، فإذا اتفقنا مع المفسرين على أن "يس" قضيةٌ بالمعنى النحوي، فإن القضايا الخمسَ تأسيسةٌ على

مستويين؛ الأول للعقيدة الإسلامية التي تتقوّم بالإيمان ثلاثي الأقطاب: الله، الكتاب، النبي، إذ لا يتحقّق الإيمانُ بأحدها من دون الإيمان بالأخريَين، وبالنحو ذاته على مستوى السورة/ النصّ كلّه مرةً أخرى، فبالقدر الذي تختزل فيه هذه القضايا الخمسُ جزءا مهما من ثيمة النصّ وموضوعَيه الرئيسَين، فإنها تكثّف أيضا جزءا مهما من وظيفةَ النصّ الكلّية إذ إن "...الموضوعات الرئيسية في السورة هي موضوعات السور المكية. وهدفها الأول هو بناء أسس العقيدة، فهي تتعرض لطبيعة الوحي وصدق الرسالة منذ افتتاحها" (قطب، ١٩٧٢م، صفحة ٢٩٥٦). والذي يبدو أن الإحالةَ على شخصِ النبي بضميرِ الخطاب المباشر (الكاف) في سياق جملةٍ اسميةٍ بمؤكدَين (إنَّ، واللام المتصدرة لخبرها) في الآية الثالثة هي الرابطُ الموضوعي الذي يجمع بين: المصدرِ الإلهي لرسالته " تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ"، والنهجِ القويم الذي هو عليه "عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ"، والكتابِ الهادي "وَالْقُرْآَنِ الْحَكِيمِ"، وهي ما سيعودُ النصّ، بما يبدو أنه قفزاتٌ موضوعية، الى الإحالة عليه مراتٍ عديدةً كما سيتضح. هذا هو الأساس النصّي الصريح للبنية، أما ما تتضمنه هذه القضايا الصريحةُ فإنه يختصر في ذهن المتلقي المسلم، سواءٌ ذلك الذي كان في عصر النصّ، أم الذي ينتمي إلى عصرٍ متأخرٍ عنه الى اليوم، يختصر تاريخَ ملابسات الدعوةِ النبوية في مرحلتها المكية، والقيامِ بمهمة رسالة السماء من: تكذيب، ومعاندة، ومحاججة، واتهامات باطلة، وإنكار، فكأن البنيةَ الصريحةَ تنهضُ ردّا وخطابا حاسما انطلاقا من كلِّ ذلك وإليه، وهي الأساسُ النصّي الضمني الذي سيبقى حاضرا في البنياتِ الصريحةِ القادمة حتى نهايةِ النصّ.

**غايةُ الرسالة السماوية وموضوعُها**

يقوم حرفُ التعليل (اللام) في مُفتتَحِ الآية السادسة بالتحويلِ الدلالي المطلوب لينتقلَ النصُّ بواسطته إلى بنيته الكبيرة الثانية الممتدّة من الآية السادسة حتى الحادية عشرة، ويطالعنا في أول البنيةِ اللفظُ المفتاحُ: "لِتُنْذِرَ"، بما يحمل من إحالةٍ بعديةٍ إلى الرسول بضميرِ الخطاب أيضا المستترِ فيه، بؤرةً دلاليةً تكملُ السابقةَ المؤكِّدة "إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ...لِتُنْذِرَ"، هكذا تعود الإحالةُ البعديةُ بالضمير على حاملِ الإحالة الأول الى ربطِ هذه البنيةِ بالسابقةِ بعلاقة السببية، وتتكرّرُ عودتُها لتحيل عليه في نهايةِ البنيةِ مع الفعلِ نفسِه ثلاثَ مراتٍ ومع الفعل (بشّر) مرةً: " وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠) إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ (١١)"، وواضحٌ ما بينَ فعلَي الإنذار والتبشير من علاقةٍ موضوعيةٍ في سياقِ المهمة الرسالية للرسول، وواضحُ

أيضا كيف استغرقت غايةُ الإنذار والغايةُ المُضافة اليها (التبشير) هذه البنيةَ من أولها إلى آخرها، ولو كثّفنا النصَّ مرةً يكون: " لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ. إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ". أما النسيجُ الداخلي لهذه البنية فقد عمل ضميرُ الغيبة (هم) بشكليه المتصل (٩ مرات) والمنفصل (٤ مرات) الذي يحيل بعديا على كلمةِ "قوما" موضوعِ فعل الإنذار المهيمِن دلاليا فيها، عمل على تماسكه نحويا وموضوعيا كلّما تكرّر ورودُه مع الكلماتِ المتعلقةِ بهم: " آبَاؤُهُمْ. فَهُمْ. أَكْثَرِهِمْ. فَهُمْ. أَعْنَاقِهِمْ. فَهُمْ. أَيْدِيهِمْ. خَلْفِهِمْ. فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ. عَلَيْهِمْ. أَأَنْذَرْتَهُمْ. تُنْذِرْهُمْ"، ومعه واوُ الجماعة المتصلةُ التي تكرّرت محيلةً على الكلمة نفسِها (٥ مرات): " غَافِلُونَ. لَا يُؤْمِنُونَ. مُقْمَحُونَ. لَا يُبْصِرُونَ. لَا يُؤْمِنُونَ"، هكذا ينهضُ في هذه البنيةِ "قومُ الرسول" موضوعا رئيسا ثانيا مع الموضوعِ الأولِ "الإنذار" لتأتلفَ وحدةٌ دلاليةٌ بين الإنذار بوصفه غايةَ الإرسال، وبين ما يستوجبُ ذلك من حالِ القوم الذي تصوّره الكلماتُ الحاملةُ للإحالة عليهم. أما الآيات (٨ – ١٠) ففي تفسيرها خلافٌ بين المفسرين على قولين: الأول أن تكون نزلت في أبي جهل وصاحبَيه المخزوميين لما تعاهدوا على إيذاء النبي وهو يصلي، والثاني في أنها مثلٌ مضروبٌ للقومِ الموصوفين في الآيات السابقات بأنهم غافلون وحقَّ القولُ عليهم فكأنهم بذلك كالمغلول الممنوع من التصرّف." (القرطبي، ١٤٢٣هـ– ٢٠٠٣م، صفحة ٤١٥) ، أوتصويرٌ لحالتهم يوم القيامةِ (الاندلسي، ٢٠١٠م، صفحة ٣١١)، وقد قدّمنا أن منهج النظر النصّي يجعلنا أقرب لقاعدة "العبرةُ بعموم اللفظِ لا بخصوص السبب".

**القدرةُ الإلهيةُ على الإحياءِ والإماتةِ وإحصاءِ الأعمال**

وتمثّلها آيةٌ واحدةٌ هي (١٢)، ويفتتحها ضميرُ المتكلم المنفصلُ العائدُ على الذات الإلهية على نحو الجمع: "إِنَّا نَحْنُ" الذي ستتكرّر الإحالةُ المقامية بشكله المتصل (٣) مرات، مُخبِرا عن ثلاثٍ من الصفاتِ الإلهية "نُحْيِي الْمَوْتَى. وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ. وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ"، وهي الصفاتُ التي تستغرقُ وجودَ الإنسان من لحظةِ خلقِه الى لحظةِ وقوفِه بين يدي خالقه، حيّا وميتا ومبعوثا للحساب، وبعد الخطابِ الموجَّه الى النبي، وبيانِ الغايةِ من إرساله ببيانِ حال قومِه، لا تخرجُ هذه البنيةُ عن السياقِ الموضوعي ذاته بقفزةٍ موضوعيةٍ كما يبدو للوهلةِ الأولى، إذ لا يزالُ الصوتُ هو صوتُ السماء: "يس. إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ. لِتُنْذِرَ. إِنَّا"، هنا تظهرُ الإحالةُ الصريحةُ بضمير المتكلم للموضوع الرئيس الثاني في النصّ، بعد أن بقيتْ مضمرةً في النداءِ الموجَّه الى النبي والخطابِ المباشر له بالإنذار. والإخبارُ

بالصفاتِ الثلاث تحديدا يؤلّف وحدةً موضوعيةً مع إرسالِ الرسل وإنزالِ الكتبِ للإنذارِ والتبشير، فالذي أرسلَ وأنزلَ وأنذرَ وبشّرَ على لسان رسولِه هو القادرُ على إحياءِ " الْمَوْتَى"، ليجدوا أنه كتبَ آثارَهم وأحصى كلَّ شئ، وهو ما تحقّقه الإحالةُ البعديةُ عليهم بضميرَي الغيبة المتصلين للجمع: "مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ".

**ضربُ المثل عن طريقِ القصة**

تأخذ هذه البنيةُ بدايتَها مع الآيةِ (١٣) وتنتهي بالآية (٢٩)، وتفتتحها الإحالةُ مرةً أخرى الى حامل الإحالةِ الأول (الرسول) بضميرِ الخطاب المستترِ في الفعل "وَاضْرِبْ" على طريقةِ القرآن الكريمِ في العظة والدعوةِ للاعتبار، قائمةً بوظيفةِ التحويلِ الدلالي من البنيةِ السابقة الى موضوعها، لتبقى حاضرةً في نصّ البنية على نحوٍ إحالي آخر يؤشر إليه الذكرُ المتعدّدُ لكلمة (رسول) في سياق القصة وأحداثها: " الْمُرْسَلُونَ. مُرْسَلُونَ. لَمُرْسَلُونَ. الْمُرْسَلِينَ"، وليبقى صوتُ الذاتِ الإلهية المخاطِبة للرسول في بدايةِ البنية حاضرا بالإحالةِ عليها بضميرِ المتكلم للجمع: "أَرْسَلْنَا. فَعَزَّزْنَا"، بعد حضورِه في بداياتِ البنياتِ الكبيرةَ السابقة: "يس. إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ. لِتُنْذِرَ. إِنَّا نَحْنُ. وَاضْرِبْ. أَرْسَلْنَا. فَعَزَّزْنَا". أما ثنايا قصةِ أصحاب القرية فإنها تقدّم موضوعَ النصّ الأكمل (الله/ المرسِل، النبي/ المُرسَل، المُرسَل إليهم) عن طريق شخوصِها والحوارِ الذي دار بينهم ببسطٍ نصّي قصصي بعد أن كان إخباريا في البنيات السابقة، ويشخصُ للمتلقي في القصةِ ثلاثةُ أطراف يردُ ذكرُهم في ثلاث آيات: "وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ. إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ. وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى..."، وهم: أصحابُ القرية، والاثنان المرسَلان، ثم الرسلُ الثلاثةُ بعد التعزيز، والرجل، إذ يحبكُ النصُّ نسيجَه عن طريقِ تكرارِ الإحالةِ الضميرية عليهم حتى نهاية القصة، ويبين الجدول الآتي تفاصيلَ الإحالة:

| الضمير | المفسِّر (العائد) | عدد مرات ذكره | نوع الإحالة |
|---|---|---|---|
| كافِ الخطاب | أصحابِ القريةِ (وهم أنفسهم قوم الرجل) | ٧ | نصية قبلية بعيدة |
| واو الجماعة | = | ٩ | نصية قبلية بعيدة |
| ضميرِ الغيبة المنفصل (هم) | = | ٢ | نصية قبلية بعيدة |
| ضميرِ المتكلم للجمع (نا) | = | ٥ | نصية قبلية بعيدة |
| ضميرِ الخطاب (أنتم) | = | ١ | نصية قبلية بعيدة |

| | | | |
|---|---|---|---|
| ضمير الغيبة الظاهر المتصل للمثنى (هما) | الرسولين | ١ | نصية قبلية قريبة |
| واو الجماعة | الرسل الثلاثة | 1 | نصية قبلية قريبة |
| واو الجماعة | = | 3 | نصية قبلية بعيدة |
| ضميرِ الخطابِ المنفصل للجمع (أنتم) | = | ٢ | نصية قبلية بعيدة |
| ضمير الخطاب الظاهر المتصل (الكاف) | = | ٣ | نصية قبلية بعيدة |
| ضميرِ التكلم الظاهر المتصلِ (نا) | = | ٤ | نصية قبلية بعيدة |
| ضمير الغيبة المستتر (هو) | الرجل الذي جاء من أقصى المدينة | ١ | نصية بعدية قريبة |
| ضمير الغيبة المستتر (هو) | = | ٢ | نصية قبلية قريبة |
| ضمير المتكلم الظاهر المتصل (الياء) | = | ١٣ | نصية قبلية بعيدة |
| ضميرِ المتكلم المستتر (أنا) | = | ٢ | نصية قبلية بعيدة |
| ضميرِ المتكلم الظاهر المتصل (تاء الفاعل) | = | ١ | نصية قبلية بعيدة |
| ضمير الغيبة المستتر (هو) | = | ١ | نصية قبلية بعيدة |
| ضمير الغيبة المتصل (الهاء) | = | ٢ | نصية قبلية بعيدة |
| ضمير المتكلم المستتر (أنا) | = | ٢ | نصية قبلية بعيدة |
| ضمير المتكلم الظاهر المتصل (تاء الفاعل) | = | ١ | نصية قبلية بعيدة |
| ضمير الخطاب المستتر (أنت) | = | ١ | نصية قبلية بعيدة |

هكذا تعيدُ شخوصُ القصةِ طرحَ ثيمةِ النصّ عن طريقِ حملها للإحالات الضميرية، وتتحدّثُ عن الموضوعِ نفسِه (المُرسِل، الرسول، الرسالة).

**الحسرةُ على العباد**

مع الآيةِ الثلاثين يعودُ صوتُ الذاتُ الإلهية بالظهور "يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ"، ثم تتماسكُ البنيةُ داخليا عن طريقِ الإحالةِ الضميرية على العباد إحالة نصية قبلية قريبة (٣) مرات بضميري الغيبة للجمع (الواو) و(هم): "مَا يَأْتِيهِمْ...كَانُوا...

يَسْتَهْزِئُونَ"، ثم تمسك بزمام البنياتِ السابقاتِ أيضا موضوعيا من خلال عودةِ ظهورِ الصوتِ الإلهي:"يس. إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ. لِتُنْذِرَ. إِنَّا. جَعَلْنَا. وَجَعَلْنَا. فَأَغْشَيْنَاهُمْ. أَأَنْذَرْتَهُمْ. تُنْذِرْهُمْ. تُنْذِرُ. إِنَّا نَحْنُ. نُحْيِي. وَنَكْتُبُ. أَحْصَيْنَاهُ. وَاضْرِبْ. فَعَزَّزْنَا. أَنْزَلْنَا."، وإشارةِ كلمةِ (عباد) الى الأقوامِ المنكِرةِ لرسالةِ السماءِ والمكذِّبةِ للرسل. وقد ذهب سيد قطب الى أن هذه الآية تقسم السورة على جزأين، الجزء الأول توجه الى مشركي مكة والمكذبين برسالة الإسلام، والجزء الثاني الذي تفتتحه هذه الآية الكريمة موجه الى المكذبين المنكرين من البشرية عامة، هكذا ترد الآيات ومشاهدها وصورها المتوالية بعد هذه الآية في سياقها نفسه حتى نصل الى الآية الستين التي يعود فيها القرآن الى خطاب الرسول، فتتصل بما بدأت به في قوله تعالى "إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٣) عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ" (قطب، ١٩٧٢م، صفحة ٢٩٧٤ و ٢٩٦٦).

**استعراضُ الآيات**

يسترسل النصُّ ابتداءً من الآيتين (٣١ و ٣٢) الى الآيةِ (٤٦) في استعراضِ الآياتِ المتعلقةِ بالقدرةِ الإلهيةِ على: (إهلاكِ القرون السابقة، بعث الأموات بعد الإماتة، إحياءِ الأرض الميتة، جعل جناتِ النخيل والأعناب، وعيونِ الماء، والثمرِ، وخلقِ الأزواج من كلِّ شئ، وحركةِ الأفلاك (الليل والنهار، والشمس والقمر)، وما يركبه الإنسان في البرّ والبحر)، بدعوةٍ مباشرةٍ: "أَلَمْ يَرَوْا"، في بنيةٍ تحكم تماسكَها الإحالةُ الضميريةُ المقامية إلى الذات الإلهية بضمير المتكلم المتصل للجمع (نا) (١٦) مرةً، والمستتر مرتين، وإلى (العباد) الرامزين إلى الأقوامِ الكافرةِ برسالةِ السماء السابقِ ذكرُهم بإحالة نصية قبلية بعيدة بـ(واو) الجماعة المتصل (١٨) مرةً، ما يغني عن الخلافِ في عائدِ واو الجمع في الأفعال التي اتصلت بها ابتداءً من الفعل "يَرَوْا"، إن كان كلمةَ (العباد) المذكورة في الآية السابقة أم كلمة "قَوْمًا" المذكورة في الآية السابعة (الطبري، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م، صفحة ٢٧٤)، وبضميرِ الغيبة (هم) المتصل العائد عليهم أيضا (١٨) مرةً، ما يغني هنا أيضا عن الخلافِ في تحديدِ العائد في قوله تعالى "وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ" إن كان يعود الى الذريةِ فتكون الإحالةُ بذلك بعديةً أو إلى العبادِ، متفقين بذلك مع الرازي على عودته على العباد"...لأن الظاهر عود الضمائر إلى شئ واحد" (الرازي، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م، صفحة ٨١)، ومرةً واحدةً عائدا على (القرون) في كلمة (أنهم) في الآية (٣١)، وبالضميرِ (هم) المنفصل مرةً واحدةً، وكافِ الخطاب (٣) مرات. وإذ بدأت هذه البنيةُ بصوتِ الإله الصادرِ من نداءِ الحسرةِ على العباد، فإنها تنتهي به في الآيات

(٤٥، و٤٦، و٤٧) وهو صادرٌ على نحوٍ غيرِ مباشر أيضا بالفعلِ المبني للمجهول "قيل"، وبيّنٌ غناها بذكرِ حاملِ الإحالةِ الثاني، أما حاملُ الإحالةِ الأولِ فلم يفارقها، إذ ورد في أولها "مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ"، وعاد للظهورِ في آخرها على نحوٍ غير مباشرٍ في الفعل "قيل"، الذي حملَ في طيَّته المبنيةِ لمجهولٍ نحويا ذكرا مُضمَرا لحاملَي الإحالة، فالذي يقول هو المُرسِل على لسانِ المُرسَل.

**الدعوة إلى الإنفاق في سبيل الله**

تنفرد الآيةُ (٤٧) في نقلِ الحوارِ بين "الذين آمنوا" و "الذين كفروا" حولَ أمرِ الإنفاقِ في سبيلِ الله، وقد عادت الضمائرُ على العبادِ بثلاثةِ ضمائرَ وعلى نحوين، على نحو الغيبةِ بالضمير (هم) المتصل، وعلى نحوِ الخطابِ بواوِ الجماعةِ مرةً وبالكاف مرةً، ما يمنح هذه الآيةَ رابطا موضوعيا بالأجزاء الأخرى من النصّ، لتعود الضمائرُ بعدها الى القيامِ بوظيفتها في الربطِ عن طريقِ تناوبِ الإحالةِ بين الفئتين المتحاورتين، فأحال الضميران (واو الجماعة) على نحوِ الغيبة، و(نا) المتكلمين على "الذين كفروا"، وأحال الضميران (واو الجماعة) على نحوِ الغيبةِ، وضمير الخطاب المنفصل (أنتم) على "الذين آمنوا"، وأحال ضميرُ الغيبة المتصل للمفرد المذكر (الهاء) على "مَنْ" موضوعِ فعلِ الإنفاقِ في سبيلِ الله. ولعلّ الجديرَ بالتنويه إليه أن الآياتِ (٤٥ و ٤٧ و ٤٨) تشترك في تصدّرها بالصيغةِ المبنيةِ للمجهولِ للفعل (قال)، وصيغتِه المبنيةِ للمعلوم للزمن المضارع، وهو ما يوحي للوهلةِ الأولى أنها تؤلف بنيةً واحدةً، إلا أن الآيةَ (٤٦) التي تتحدث عن إعراضِهم عن الآياتِ تجعل موضوعَها وموضوعَ الآيةِ (٤٥) مرتبطين بما تحدثت عنه البنيةُ السابقة من استعراضِ الآيات، أما الآية (٤٨) فإنها تلحتق موضوعيا بما يليها من آياتٍ تتحدث عن أحوالِ العبادِ في المَعادِ بدلالةِ كلمةِ (الوعد).

**المعادُ وأحوالُ العبادِ فيه**

تبدأ هذه البنيةُ سردَ أحوالِ العبادِ في المعادِ ردّا على تساؤلهم عنه بالآيةِ (٤٨): "وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ" لتنتهي بالآيةِ (٦٨)، ويربطها افتتاحُها بالإحالةِ الضميريةِ على المرسَل إليهم (العباد) في الفعل "وَيَقُولُونَ"، وبالإحالةِ الضميريةِ على المُرسَلين في الكلمتين "كُنْتُمْ" و "صَادِقِينَ"، يربطها بمُفتَتحِ البنيةِ السابقة "يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ"، وبيّن كيف استوعبت كلمةُ "عباد" دلاليا المُرسَل إليهم على اختلافِهم واتحادِ موضوعِهم في السورة (قوم النبي، أصحاب القرية)، وهو الموضوعُ الذي يبرز في هذه البنيةِ صحبةَ صوتِ الذات الإلهية الذي يقوم بثلاثِ وظائف تجعله الصوتَ المهيمِن: الراوي لأحداثِ المشهدِ

المَعادي في الآيات (٤٩ – ٥٤)، والمُخبِرِ عن أحوالِ أهل الجنةِ في الآيات (٥٥ – ٥٨)، والمخاطِبِ لأهِل النار في الآيات (٥٩ – ٦٧)، ما يرشدنا إلى مقاطعِ المشهدِ الثلاث. إذ يردُ المقطعُ الأول جوابا عن سؤالِهم "مَتَى هَذَا الْوَعْدُ" بروايةِ أحداث المعاد، لتتوالى بعدها الإحالاتُ الضميريةُ النصية القبلية البعيدة (١٧) مرةً على موضوعِ الإحالةِ نفسِه في الفعل "وَيَقُولُونَ"، بواو الجمع (٩) مرات، وبضمير الغيبة (هم) المتصل (٣) مرات والمنفصل مرتين، وبضمير المتكلم الجمع (نا) (٣) مرات. ويردُ المقطعُ الثاني إخبارا عن حالِ المركب الإضافي"أَصْحَابَ الْجَنَّةِ" الذي يتصدّر الآيةَ، لتتوالى الإحالاتُ الضميريةُ عليهم بواوِ الجماعة (٣) مرات، وبضميرِ الغيبةِ المتصل (هم) (٣) مرات، والمنفصلِ مرةً واحدةً. ويردُ المقطعُ الثالثُ خطابا لأهل النار "أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ" بعد إحالةٍ بعديةٍ عليهم في أول الآية "وَامْتَازُوا"، لتتوالى الإحالاتُ الضميريةُ النصية القبلية البعيدة عليهم (٢٧) مرةٍ، بواوِ الجماعةِ (١٦) مرةً، وبضميرِ الغيبةِ المتصل (هم) (٦) مراتٍ، وبكاف الخطاب (٣) مراتٍ، وتاء الفاعل للجمع مرتين.

**نفيُ تهمةِ الشعر عن النبي وتأكيدُ وظيفةِ الإنذار**

بعد بيانِ أحوالِ المعادِ وأهلِه من الفريقين، يعودُ النصُّ ليلتحمَ بما بدأ به من تأكيدِ المصدر السماوي لرسالتِه ونهجِه القويم ومهمتِه الرسولية في الإنذار، وإلى تأكيد وصف الكتاب المنزَل أول السورة: "يس. وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ. إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ. عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ" فيقول عنه: " وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ... إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ. لِيُنْذِرَ..."، وهما آيتان صريحتان في الإحالةِ على الرسول إحالة نصية قبلية بعيدة، يقول الطاهر بن عاشور في ذلك: "ثم ردّ العجز على الصدر فعاد إلى تنزيه القرآن عن أن يكون مفترى صادرا من شاعر بتخيلات الشعراء" (بن عاشور، ١٩٨٤م، صفحة ٣٤٣).

**استعراضُ الآيات**

يعودُ النصُّ مرةً أخرى على نحوٍ إخباري بعرضِ جملةٍ من الآيات التي تحيل الضمائرُ فيها على المُرسَل إليهم المُستَغرَقين في دلالةِ كلمة "عباد" السابقة، وهي موجهةٌ إليهم من الآيةِ (٧١ – ٧٣) ابتداءً من أولِ البنيةِ بالفعلِ "أَوَلَمْ يَرَوْا"، إذ أحالت البنيةُ الأفعالَ والاسماءَ عليهم إحالة نصية قبلية بعيدة (٢٠) مرةً، بواو الجماعة (٨) مراتٍ، وبضمير الغيبة المتصل (هم) (٧) مراتٍ، ومرةً بالمنفصل، أما الصوتُ الإلهي المُخبِرُ فقد أحالت البنيةُ عليه إحالة مقامية بضميرِ المتكلمِ الجمع المتصل (نا) (٤) مراتٍ.

**ذكرُ العباد ومواساةُ النبي**

بعد استعراضِ الآياتِ عاد النصُّ إلى الإخبارِ عن العبادِ المكذّبينَ الناكرين لرسالةِ السماء باتخاذِ الآلهة في الآيتين (٧٤ و ٧٥) عن طريقِ الإحالةِ عليهم (٩) مراتٍ إحالةً نصيةً قبليةً بعيدة، بواوِ الجماعة (٥) مرات، وبضميرِ الغيبة (هم) المتصل (٣) مرات، والمنفصلِ مرةً واحدةً، ليظهرَ حاملُ الإحالة الأول (الرسول) ظهورا مباشرا بالإحالةِ عليه إحالةً نصيةً قبليةً بعيدةً بضميرِ الخطابِ في الآيةِ (٧٦): " فَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ " على سبيل مواساته، ويبقى صوتُ الذات الإلهية مهيمنا، سواءٌ في الإخبار عن المُرسَل إليهم أم في الخطابِ المباشرِ الموجَّه إلى النبي.

**خطابُ الإنسان بوصفه اسمَ جنس عام يستغرق المُرسَل إليهم**

ينتقل النصُّ منذ الآيةِ (٧٧) الى الآيةِ (٧٩) ليُظهرَ صوتَ الذاتِ الإلهيةِ وهي تخاطبُ "الْإِنْسَان" لبيانِ عظمةِ الخالقِ ومدى ضعفِ المخلوق، وهنا يبدو ما ذكرناه من أن النصَّ قد تدرّج في ذكرِ المُرسَل إليهم من الفئة الخاصةِ ممثلةً بقومِ الرسول وأصحابِ القريةِ، إلى العبادِ، إلى الإنسان الذي هو اسمُ جنسٍ أبعد مدىً في الدلالةِ على العموم المستغرِق لكلّ الفئات المذكورة، وبقيت الآياتُ متماسكةً بواسطة الإحالة عليه (الإنسان) بضميرِ الغيبة المتصل (الهاء) مرة، والمنفصل مرةٍ واحدةً إحالةً نصيةً قبليةً قريبة، ثم بإحالة نصية قبلية بعيدة بضمير الغيبة المتصل (الهاء) مرة، والمستتر (٣) مرات، وبضميرِ الخطاب المستتر (أنت) مرة، مثلما فعلت الإحالةُ على الذات الإلهية إحالةً مقاميةً بضمير المتكلم المتصل (٣) مرات، ثم بضميرِ الغيبةِ المستترِ مرتين، والمنفصلِ مرةً واحدة.

**خطابُ المُرسَل إليهم**

يعود صوتُ الذاتِ الإلهية إلى خطابِ المُرسَل إليهم في الآية (٨٠)، على نحوٍ مباشرٍ بالفعل: "جَعَلَ لَكُمْ"، تدلّ عليه الإحالةُ عليهم إحالة نصية قبلية بعيدة بضميرِ الخطابِ المتصلِ بالفعل (الكاف)، وبضميرِ الخطاب المنفصل (أنتم) "فَإِذَا أَنْتُمْ".

**اللهُ المالكُ التامُ القدرة**

تأتي الآياتُ الثلاثُ الأخيرةُ من النصّ بنيةً تامةً متعلقةً بالبنيةِ الأولى: "يس. وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ. إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ. عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ. لِتُنْذِرَ"، والآياتُ الخاتماتُ بيانٌ صريحٌ لتمام قدرةِ الله على الخلق، والإرادة المطلقةِ، والملك المطلق، ذاكرةً له في الآية (٨١):

"الَّـذِي خَلَـقَ. السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ" لتحيـل عليـه إحالـة مقاميـة بضـمير الغيبـة المتصـل (٣) مـرات، والمسـتتر (٤) مـرات، والمنفصـل مـرةً واحـدة، والبيـانُ موجّـهٌ للمُرسَلين الـذين أحالـت علـيهم البنيـةُ إحالـة نصـية قبليـة بعيـدة مـرتين، بضـمير الغيبـة المتصل (هم) مرةً، وبواو الجماعةِ مرةً أخرى.

في **البنية الإحالية للسورة**

يمكـن وصـفُ هـذه البنيـة بجـدول إحصـائي يفصـل ذكـرَ الضـمائر الـواردة فـي نـصِّ السورة مع بيانِ عدد مرات ذكر كلٍّ منها:

| **ضمائر الغياب** | | **ضمائر الحضور** | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| | | **ضمائر المتكلم** | | **ضمائر المخاطب** | |
| **الضمير** | **عدد مرات ذكره** | **الضمير** | **عدد مرات ذكره** | **الضمير** | **عدد مرات ذكره** |
| (هم) المتصل | ٥٩ | (نا) المتكلمين | ٤١ | (واو) الجماعة | ٢٢ |
| (واو) الجماعة | ٤٥ | (نحن) المستتر | ١٢ | (كاف) الخطاب للجماعة | ١٧ |
| (هو) المستتر | ٢٤ | (ياء) المتكلم | ١١ | (أنتم) المتصل | ٥ |
| (الهاء) للمفرد المذكر | ٢١ | (أنا) المستتر | ٢ | (أنت) المستتر | ٥ |
| (الهاء) للمفرد المؤنث | ١٨ | (نحن) المنفصل | ١ | (أنت) المتصل | ٤ |
| (هم) المنفصل | ٩ | (تاء) الفاعل | ١ | (أنت) المنفصل | ٤ |
| (هو) المنفصل | ٤ | | | (كاف) الخطاب للمفرد | ٢ |
| (هي) المستتر | ٢ | | | | |
| (هما) المتصل | ١ | | | | |
| | | **العدد** | ٦٨ | **العدد** | **٥٩** |
| **العدد** | **١٨٣** | **العدد** | | **١٢٧** | |
| **العدد الكلي** | | | | **٣١٠** | |

ويبـين الجـدولُ أن الضـمائرَ الخاصـة بـالجمع هـي الأوفـرُ حظـا فـي الاسـتعمال علـى مسـتوى الـنصِّ كلِّـه، لأنهـا تعـود كمـا وضـحنا فـي تفصـيل الحـديث عـن حملـة الإحـالات والبنيـات الكبيـرة أن الحضـورَ الأوفـرَ كـان مـن نصـيب المنـذَرين (المرسَـل

إليهم) والذاتِ الإلهية (المرسِل) التي حضرت بضمير التكلم للجمع في الغالب. كما يتضح أن ضمائرَ الغياب تفوقت في نسبةِ ذكرِها على ضمائرِ الحضور، ما له دلالةٌ مباشرةٌ بعددِ مرات ذكر حاملِ الإحالةِ (المرسَل إليهم) ذي الهيمنة على فضاء النصّ وموضوعه.

**٣. في البنيةِ الكلّيةِ للنصّ**

أدلى عددٌ من المفسرين، ممن عنتهم النظرةُ الكليةُ في تفسيرِ سورِ القرآن الكريم، بدلوهم في تصوّرِ كلّ لنصّ السورةِ قائمٍ على تشخيصٍ موضوعي، منهم الفخر الرازي الذي رأى أن موضوعَ السورةِ الرئيس يتمحور حولَ الأصول الاعتقادية الثلاثة (الرسالة، والتوحيد، والحشر) ما يمثّلها من السورةِ الآياتُ الثلاث: "إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٣) لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آَبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ (٦) فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ(٨٣)"، وليس فيها إلا هذا (الرازي، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م، صفحة ١١٣)، ومثله ما ذهب إليه الطاهرُ بن عاشور الذي قامت السورةُ برأيه "... على تقرير أمهات أصول الدين على أبلغ وجه وأتمه من إثبات الرسالة، والوحي، ومعجزة القرآن، وما يعتبر من صفات الأنبياء، وإثبات القدر، وعلم الله، والحشر، والتوحيد، وشكر النعم، وهذه أصول الطاعة بالاعتقاد والعمل، ومنها تتفرع الشريعة" (بن عاشور، ١٩٨٤م، صفحة ٣٤٤). أما البقاعي فرأى أن الرسالةَ مضمومةٌ إلى الغايةِ منها وهي الإنذار والبشارة، والقدرةِ الإلهية على الإحياء والإماتة والملكِ المطلق لله هو ما يشكّل موضوعَ السورة الكلّي الذي تتمحور حلوه وتمثّله الآياتُ الأربع: " إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ(٣) لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آَبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ (٦) إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ (١١) إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآَثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ (١٢) فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ" (البقاعي، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م، صفحة ١٨٥). وقريبٌ منه ما رآه سيد قطب الذي قرّر أن السورةَ تتحدث "... عن قضية واحدة؛ قضية واحدة لا تتغير... القضية الأولى، والقضية الكبرى، والقضية الأساسية، في هذا الدين الجديد، "قضية العقيدة" في قاعدتها الرئيسية،.... الأولوهية والعبودية وما بينهما من علاقة" (قطب، ١٩٧٢م، صفحة ١٠٠٤)، ملتقيةً بذلك مع موضوعاتِ السور المكية التي تتمحور حولَ هذا الأساس، لتكون الآياتُ السبع: "يس(١) وَالْقُرْآَنِ الْحَكِيمِ(٢) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ(٣) عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ(٤) تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ(٥) لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آَبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ(٦) وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآَنٌ مُبِينٌ (٦٩)"

المعبّـرَ عمـا تقولـه الآيـاتُ الأخـر. ولعـل الـرأيَ الأبـرز الـذي اطلعنـا عليـه هـو المـتلخّص فـي قـول الـدكتور محمـود البسـتاني فـي أن للسـورةِ فكـرةً محوريـةً تتمحـور حولهـا العناصـرُ البانيـة لنصِّـها، وتبقـى تتـوالى مـن أجـل إضـاءتها بأضـواء تختلـف بـاختلافِ الأسـلوب المقصـود مـن أجـل ذلـك، كالصـور المبثوثـة فـي القصـص والأمثـال القرآنيـة، وتتجلّـى هـذه الفكـرُة المحوريـةُ فـي مـا ابتـدأت بـه سـورةُ يـس مـن قولـه تعـالى: "لِتُنْـذِرَ قَوْمًـا مَـا أُنْـذِرَ آبَـاؤُهُمْ فَهُـمْ غَـافِلُونَ" (د.البسـتاني، ١٤٢٢ق.، صـفحة ٢٩)، مـن أجـل هـذا وصـف الآيـةَ السادسـةَ التـي يقـول فيهـا تعـالى: "وَسَـوَاءٌ عَلَـيْهِمْ أَأَنْـذَرْتَهُمْ أَمْ لَـمْ تُنْـذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُـونَ"، بأنهـا "تحمـل وظيفـةً فنيـةً هـي إنمـاءُ وتطـويرُ الموضـوعات اللاحقـة فـي السـورة" (د.البسـتاني، ١٤٢٢ق.، صـفحة ٣١)، أمـا أقصوصـةُ أصـحابِ القريـة الـذين كـذبوا الرسـلَ الثلاثـة، والآيـةُ (٤٦) والآيـاتُ (٤٧-٥٠) فتـأتي فـي هـذا السـياق قائمـةً بوظيفتهـا فـي إنـارةِ الفكـرةِ المحوريـة للسـورة، بحملهـا المضـمونَ نفسَـه مـن أن المنـذرين لا يؤمنـون علـى كـلّ حـال، وبـذلك تكـون السـورةُ متلاحمـةً موضـوعيا علـى النحـو الـذي يجعلهـا متماسـكةً هندسـيا، فهـي عمـارةٌ متماسـكةٌ مـن خـلال عمـاراتٍ داخلهـا تعـزّز بنيـةَ العمـارة الكبـرى (د.البسـتاني، ١٤٢٢ق.، الصـفحات ٣٤-٣٦ و ٤٧-٤٨)، علـى الـرغم ممـا أسـماه بـ"النقلة الخطابيـة" التـي حـدثت فـي الآيتـين (٥٣ و٥٤) فنقلـت الخطـابَ مـن الخصـوصِ المتمثّـلِ فـي المنحـرفين المعاصـرين للرسـالة إلـى أولئـك الـذين ينطبـق علـيهم هـذا الوصـفُ مطلقـا وهـم المنحرفـون عامـة فـي كـلّ زمـان ومكـان، معتمـدا لقولـه بكـلّ هـذا "... دراسـة الـنص القرآنـي الكـريم مـن خـلال (السـورة)، بضـمنها (وحـدة) لغويـة لهـا بناؤهـا الخـاص المتمثـل فـي نـص تترابط آياتـه وموضـوعاته وعناصـره وأدواتـه بعضـها مـع الآخـر" (د. البسـتاني م.، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م، صـفحة ١٣). وهـي زاويـةُ النظـر نفسـها التـي اسـتند إليهـا آخـرون فـي فهـم تنـوّعِ نمـطِ البسـط الموضـوعي فـي سـور القـرآن وتعـدّدِ أسـاليب الخطـاب فـي السـياق الواحـد بـين القـصّ والتشـريع والوصـف والجـدل، "...ومـن وراء ذلـك كلـه يسـري فـي جملـة السـورة اتجـاه معـيّن، وتـؤدي بمجموعهـا غرضـا خاصـا، كمـا يأخـذ الجسـم قوامـا واحـدا، ويتعـاون بجملتـه علـى أداء غـرض واحـد، مـع اخـتلاف وظائفـه العضـوية" (دراز، د.ت، صـفحة ١٤٥). وانطلاقـا ممـا قـدّمناه مـن أن عمليـةَ التحليـلِ علـى وفـقِ منهجِ التحليـلِ الـذي وضـعه فـان دايـك تبتغـي الكشـفَ عـن مخطـطِ البنيـة المجـرّد علـى صـعيد نسـيجِ الـنصّ وموضـوعه، وأن للإحالـةِ بالضـمير الوظيفـةَ الأهـمَّ فـي هـذا الإطـار، فـإن تسـليطَ ضـوءِ التحليـل هنـا يكشـف لنـا عـن البنيـةِ الإحاليـةِ الحاملـةِ للموضـوع الـرئيس أو مجموعـةِ الموضـوعات، والرابطـةِ لنسـيجِ بنائِـه النصّـي، وتتجلّـى

هذه البنيةُ في المخطط الإحصائي لحملةِ الإحالات الثلاث في النصّ على وفقِ نسبةِ ورود الإحالات عليه:

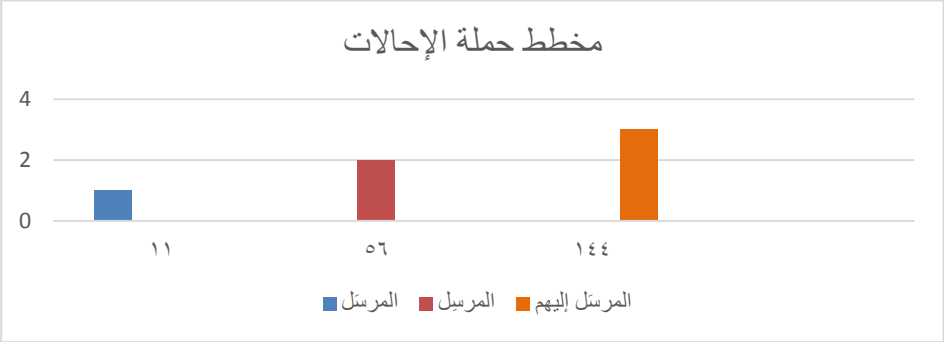


ويرتّب المخططُ الموضوعاتِ الرئيسةَ على نحوٍ تسلسلي هرمي:

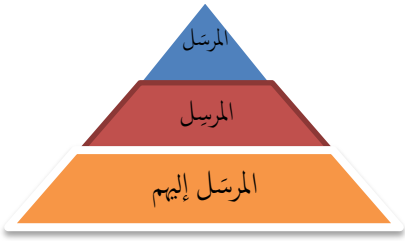


ما يظهر بجلاءٍ أن ثالوثَ الراسلة السماوية هذا هو ما يمثّل ثيمةَ النصّ وثالوثَ موضوعاته الرئيسة، وأن (المرسَل إليهم)، استنادا إلى الاستدلالِ الإحصائي هو جزءُ الثالوث الأهمّ، أو الموضوعُ الأولُ على نحو الترتيب من بين الموضوعاتِ الرئيسةِ الثلاثِ فيه. لكن اللافتَ في السورة، وما لا يدلّ عليه الاستدلالُ المجرّدُ من دون قراءةٍ متأملةٍ لنصّ السورةِ من أوله إلى آخره أنها خطابٌ إلهي، ابتداءً من اللفظ المفتاح "يس" موجَّه إلى العنصرين الآخرين: المرسِل، والمرسَل إليهم، وهذا هو المعنى الكامنُ وراءَ بنيةِ الخطابِ من الآيةِ الأولى إلى الأخيرة، وقد ترجم النصُّ هذا الخطابَ ببنيةٍ يظهر فيها صوتُ المرسِل (الله جلّ جلاله) الذي افتتح النصَّ بنداءِ المرسَل، وتأكيدِ المصدرِ الإلهي للرسالةِ المبعوثِ بها ، بوصف الكتاب بالحكمة والنهج بالاستقامة، ثم استرسلَ في خطابِ المرسَل إليهم حتى نهايةِ السورةِ بتنويعاتٍ موضوعية، لم يغادر معها خطابَ الرسول إذ عاد إليه في الآية (٦٩) كما رأينا. هذا على صعيد البنية الكبرى الموضوعية، أما على صعيد نسيجِ النصّ وبنيتِه العليا فإن تناولَ بنياتِ السور القرآنية بالتحليل النصّي يضع مقولةَ التماسك النصّي موضعَ تساؤل يجعل الباحثَ ينطلق من مقدّمةِ أن النصَّ القرآني متفرّدٌ من الناحية النوعية، بمعنى أنه لا يقارَن على صعيد التحليل النصّي بأنواع نصّية أخرى كالقصة والرواية ونصوص القوانين والتقارير...، وإن كان يتضمّن هذه الأنواع في ثناياه، إلا أن ايًّا منها لا ينهض ممثِّلا لنوعِه النصّي، بل يعمل القرآنُ على

استيعابها وتوظيفها على نحوٍ يخدم أهدافَه ومقاصدَه، فترد التنويعاتُ النصّية في سياقاته المختلفة متمحورةً حول موضوعه أو ثيمته النصّية من دون أن تسمَه بسماتها النوعية الخاصة، فالقرآن كما وصفه محمد عبد الله دراز أكثر النصوص "... تناولا لشؤون القول وأسرعه تنقلا بينها، من وصف، إلى قصص، إلى تشريع، إلى جدل، إلى ضروب شتى" (دراز، د.ت، الصفحات ١٤٤-١٤٥)، ما دعاه ودعا غيرَه من القائلين بكلّية النصّ القرآني إلى محاولةِ تتبع الخيط الناظم وراءَ بنية التنوع هذه، فقال دراز بأن "... وراء ذلك كله يسري في جملة السورة اتجاه معيّن، وتؤدي بمجموعها غرضا خاصا، كما يأخذ الجسم قواما واحدا، ويتعاون بجملته على أداء غرض واحد، مع اختلاف وظائفه العضوية" (دراز، د.ت، صفحة ١٤٥)، وقال به من قبله عبد الحميد الفراهي الهندي بما أسماه "عمود السورة" معرّفا إياه بأنه: "جماع مطالب الخطاب، فإليه يجري الكلام، وهو المحصول والمقصود منه. فليس من أجزائه الترتيبية، ولكنه يسري في كالروح" (الفراهي، ١٣٨٨هـ، صفحة ٧٣)، وهو الذي يمنح السورةَ وحدتَها على الرغم من تعدّد المطالب فيها (الفراهي، ١٣٨٨هـ، الصفحات ٧٥-٧٦)، وما تبناه طه جابر العلواني حين نقل ما نقله قبله الزركشي عن أبي بكر بن عربي قوله "ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة" (الزركشي، (د.ت)، صفحة ٣٦) على عدِّ القرآن كلِّه كالكلمةِ الواحدةِ أو الجملةِ الواحدةِ (د. العلواني، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م، صفحة ٤٨)، مما لا يبعد كثيرا عن القول بالمناسبة بين الآي والسور عند القدماء وكلّ هذا الكلام يصبّ في مصبٍّ واحد، وينتهي إلى النتيجةِ ذاتها، فكان القولُ بكلّية النصّ إجابةً كليةً هي أيضا عن التساؤل. إلا أن معالمَ المنهج العلمي المحدّدة، إن وجدت، هي المختلفة، فضلا عن أن المنهجَ العلمي يبدأ من فرضيةٍ سابقةٍ لا من مسلّمةٍ سابقة، وكان فرضُنا السابقُ أن الإحالةَ بالضمير، بوصفها وسيلةً من وسائل الربط النحوي، تقوم بوظيفةِ البنيةِ الحاملةِ للبنيةِ الكبرى الموضوعية العميقةِ للنصّ، ومن ثمّ البنيةِ الناسجةِ للنصّ، وهي وظيفةٌ يمكن تتبعُ أثرَها الواضحَ في حدودِ البنيةِ الكبرى الواحدةِ كما تبيّن في ثنايا البحث، أما على صعيدِ نسيجِ النصّ البنائي وبنيتِه العليا فلا يكونُ التماسكُ النصّي بأدواته ووسائله المختلفة ومنها الإحالة بالضمير مدارَ الحديث، ما يدلّ على أن معيارَ التماسك يترجمه سطحُ النصّ وبنيتُه النحوية، ليترجم هو من جهته بنيتَه الموضوعيةَ العميقة، وأيُّ حديثٍ حول كلّيةٍ موضوعيةٍ ما للنصّ القرآني فإنها تعود إلى ما أسماه فان دايك بـ"البنية الكبرى"، أما نظامُ النصّ العام ذلك الذي يعود إلى طريقةِ النصّ الخاصة في

عرض فحواه (موضوعاته أو موضوعه) فله استقلاله الخاص كما يؤكد دايك (فان دايك، ٢٠٠٥م، صفحة ٢١٩). فقد عملت الإحالةُ بالضمير من خلال العلاقة الدلالية التي تجمعه بالمفسِّر (العائد) على جمع أوصال النصّ على مستتوين؛ الأول مستوى كلّ بنيةٍ من البنيات سابقة الذكر، والآخر: مستوى بنية النصّ الكلية إذ بقيت تحمل موضوعاتِه الرئيسة على نحوٍ جامعٍ على الرغم من تعدّد موضوعات البنيات الكبيرة، وهو ما يلفت انتباه قارئ النصّ في أول كلِّ بنية منها حيث يظهر صوتُ الذات الإلهية واضحا من وراء تنوّعِ الأساليب: " يس، لِتُنْذِرَ، إِنَّا نَحْنُ، وَاضْرِبْ، يَا حَسْرَةً، أَلَمْ يَرَوْا، وَآيَةٌ لَهُمُ، وَإِذَا قِيلَ، إِنَّ أَصْحَابَ، أَلَمْ أَعْهَدْ، وَمَنْ نُعَمِّرْهُ، وَمَا عَلَّمْنَاهُ، أَوَلَمْ يَرَوْا، أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ"، فيترشّح من ذلك أن السورةَ خطابٌ للإنسان ابتدأ من تأكيدِ المصدر الإلهي للمهمةِ الرسولية بالبعثِ والإرسالِ وإنزالِ الكتاب (النصّ الحاملِ لرسالة السماء)، وبيانِ الغاية من الرسالة، ولتحقيق هذه الغاية عرض النصُّ خطابَه ببنياتٍ متنوعة دارت حول محاور متعدّدة: بيانِ القدرة الإلهية، ضربِ المثل من خلال نصِّ قصةٍ مُتضمَّن، واستعراض الآيات، وتصويرِ مشاهدِ المعادِ وأحوالِ الفريقين (أصحاب الجنة، والمجرمين)، ويمكن بناءً على هذا أن نعدَّ الآياتِ الثمان الآتية: " يس (١) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (٢) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٣) عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤) تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٥) لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ (٦) إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ(١١) إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ(١٢)"، جزءَ النصِّ الذي يختزلُ موضوعاتِه، وما يردُ بعدَها من آياتٍ حتى نهايةِ السورةِ ما هو إلا تنويعاتُ عرضٍ لقضاياها، وتلويناتٌ لأساليبِ تحقيق القصد. كما يمكن أن نفهم الصلةَ الدلاليةَ بين "يس" بوصفه العنوانَ والمُفتتَح، وبين المنذَرين بوصفهم الموضوعَ الرئيس، إذ يعمل عملَ المصباح المضيء الذي يفتح نافذةً من ضوءٍ دلالي على الموضوع الأهمّ، فينير المساحةَ الدلاليةَ الرابطةَ بين الموضوعين (الرسول، المرسَل إليهم)، ومفتاحُ الكشفِ هو قولُه تعالى في الآية (٥): "مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ" الذي سيكشف الصلةَ الموضوعيةَ بين كيفياتِ ذكرِ الرسولِ المختلفةِ في النصّ: "إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ . عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ. فَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ"، وبين الكيفياتِ المختلفةِ لذكر المنذرين أيضا في العالمَين الدنيوي والأخروي، والدواعي المنطقيةِ لاستعراضِ القصة والآيات. ويبدو أن الأخذ بمقولة البنية الكبيرة مع إمكانية تعدّدها ضمن فضاء النصوص الكبيرة يسهم في أن يصمد تماسكُ هذه النصوص تحت مشرط

التحليل النصّي الحديث الصارم، لأنه يفسح المجالَ على مستوى نسيج النصّ أمامَ تعدّد الموضوعات ويجعل حدودَ الوحدة الموضوعية مرنةً على نحو استيعابي، مع إمكانية تدرج البنية الكبرى الكلية في التعالي لاستيعاب مزيدٍ من التنويعات الموضوعية، وحلّ مكامنِ التعقيدِ على صعيد التلقي والتحليل.

**نتائج البحث:**

١. قاد الاستدلالُ على حملة الإحالة في نصّ السورة إلى تصنيفهم تراتبيا على ثلاثة حملة: المنذَرين/ المرسَل إليهم، الله جلّ جلاله / المرسِل، النبي (ﷺ) / المرسَل. وعلى وفقِ المنهجِ المعتمَد فإنه استدلالٌ على موضوعات النصّ الرئيسة التي تُظهر ملامحَ بنيته الكبرى.

٢. تقدّم موضوعُ المنذَرين الموضوعَين الآخرين.

٣. ينتمي نصُّ السورةِ إلى نمطِ النصوص ذاتِ الطابع المركب الذي ينبني لا من سلاسل للقضايا بل من سلسلةِ بنياتٍ كبيرةٍ تؤلف في النهاية بنيةَ الخطاب الكلية.

٤. يطغى على نصّ السورة ورودُ الإحالة بالضمائر المختلفة، ما عمل على تماسكِ بنيةِ النصّ على مستوى البنيات الكبيرة فيه، وعلى مستوى البنية الكلية.

٥. تقدّمت ضمائرُ الغياب ضمائرَ الحضور في عدد مرات الذكر، مثلما تقدّمت ضمائرُ المتكلم على غيرها من ضمائرِ الحضور من هذه الناحية، ما كان له دلالةٌ مرتبطةٌ بحاملي الإحالة في نصّ السورة (المرسِل، المرسَل إليهم)، إذ عاد أغلبُ ضمائر الغياب إلى المرسَل إليهم، وعاد أغلبُ ضمائر التكلم للمرسِل.

٦. قاد تبني مقولة "البنية الكبيرة" في تحليل نصّ السورة على المستوى الموضوعي العميق إلى تلمس آثار وحدتها الموضوعية القارّة خلف تعدّد أنماط البسط الموضوعي في ثناياها، وما قامت به الإحالة الضميريةُ من وظيفةٍ أساسيةٍ في توفير وسيلة الربط الدلالية الناسجة لنسيج النصّ.

**Results:**

1. The reference in the text of the surat leads to three classifications: those who were warned /the receivers, God Almighty /the Sender, His Messenger/ the Prophet (Pbuh). According to the model depended, it is an inference on the main text topics that show the features of its overall structure.

2. The topic of the warned precedes the other two topics.

٣. The text of the surat belongs to the pattern of complex nature texts that are built not from series of issues but from a

series of large structures that ultimately comprise the overall structure of the discourse.

4. The text of the surat is overwhelmed by reference with different pronouns, and this has served the coherence of the text structure at the level of large structures in it, and at the level of the overall structure.

5. The pronouns of absent persons come before the pronouns of attendant persons in the number of the times of mentioning, just as the pronouns of the speaker come before the other pronouns of the attendant persons in this regard. This has a meaning related to the referents in the surat (the sender, the receiver), as most of the pronouns of absence refer to the one of the receivers, and most of the pronouns of the speaker refer to the sender.

6. The adoption of the concept of the " Macro structure" in analyzing the text of the surat on the deep thematic level leads to perceiving the effects of its unity in spite of the multiplicity of the thematic patterns, and the essential function of the reference in providing the means of semantic cohesion in the text.

**مصادر البحث ومراجعه**


١. القرآن الكريم

٢. ابن الحاجب. (٢٠١٠). *الكافية في علم النحو*. (*ط١*). تحـ د. الشاعر، صالح عبد العظيم. القاهرة. مكتبة الآداب.

٣. ابن كثير، أبي الفداء اسماعيل بن عمر. (١٤٢٠هـ، ١٩٩٧م). *تفسير القرآن العظيم*. (*ط٢*). تحقيق: سامي بن محمد السلامة. المملكة العربية السعودية. دار طيبة للنشر والتوزيع.

٤. الاستراباذي، الرضي.( ١٩٩٨). *شرح الكافية*. بيروت. دار الكتب العلمية.

٥. الأندلسي، أبي حيان. (٢٠١٠م.). *البحر المحيط*، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض. (*ط٣*) بيروت–لبنان. دار الكتب العلمية.

٦. برينكر، كلاوس. (١٤٢٥هـ– ٢٠٠٥م). *التحليل اللغوي للنص مدخل الى المفاهيم الأساسية والمناهج*.( *ط١*). ترجمة: سعيد حسن بحيري. القاهرة. مؤسسة المختار.

٧. البقاعي، برهان الدين. (١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م). *نظم الدرر في تناسب الآيات والسور*. القاهرة. دار الكتاب الإسلامي.

٨. بن عاشور، محمد الطاهر. (١٩٨٤م.). *التحرير والتنوير*. الدار التونسية للنشر.

٩. بول، براون جورج. (١٩٩٧م). *تحليل الخطاب*. ترجمة: محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي. الرياض. منشورات جامعة الملك سعود.

١٠. تودوروف، تزيفيتان. (٢٠٠٤م). عياشي، منذر. (إعداد وترجمة). *العلاماتية وعلم النص نصوص مترجمة*. (*ط١*). (ص١٠٩ – ص ١١٩) الدار البيضاء – المغرب. المركز الثقافي العربي.

١١.حسان، تمام. (٢٠٠٠م). *البيان في روائع القرآن*. القاهرة. عالم الكتب.
١٢.الخضري. ( ٢٠٠٥م – ١٤٢٦هـ ). *حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك*. (ط٢ ). شرحها وعلّق عليها: تركي فرحان المصطفى. بيروت–لبنان. دار الكتب العلمية،.
١٣.خطابي، محمد. (٢٠٠٦م). *لسانيات الخطاب مدخل الى انسجام الخطاب*.( ط٢ ) بيروت– لبنان. الدار البيضاء–المغرب. المركز الثقافي العربي.
١٤. د فضل، صلاح. *بلاغة الخطاب وعلم النص*. (آب ١٩٩٢ ). سلسلة عالم المعرفة (١٦٤).
١٥.د. البستاني، محمود. (١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م). *المنهج البنائي في التفسير*. (ط١ ). سلسلة قضايا إسلامية معاصرة. بيروت– لبنان. دار الهادي.
١٦.د. البستاني، محمود.( ١٤٢٢ق.) *التفسير البنائي للقرآن الكريم*. (ط١ ). مؤسسة الطبع التابعة للأستانة الرضوية المقدسة.
١٧.د. العيد، علي بن سليمان. (١٤٣٦ هـ – ٢٠١٥م). *الوجيز في علوم القرآن العزيز*. (ط ٣ ). الرياض– المملكة العربية السعودية. دار التدمرية.
١٨.د. بحيري، سعيد حسن.( ١٩٩٧م). *علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات*. (ط١ ). القاهرة. دار نوبار.
١٩.دراز، محمد عبد الله. (د.ت.). *النبأ العظيم دراسات جديدة في القرآن الكريم*. الكويت.دار القلم.
٢٠.دي بوجراند، روبرت و دريسلر، ولفغانغ. (١٤١٣هـ– ١٩٩٣م). *مدخل إلى علم لغة النص*. (ط١ ). سلسلة اللغويات الجرمانية. الكتاب رقم (١١٥) المملكة العربية السعودية. جامعة الملك سعود.
٢١.دي بوجراند، روبرت. (١٩٩٨). *النص والخطاب والإجراء*. (ط١ ). ترجمة: تمام حسان. القاهرة.عالم الكتب.
٢٢.الرازي، فخر الدين محمد. (١٤٠١هـ، ١٩٨١م). *التفسير االكبير ومفاتيح الغيب*. (ط١ ). دار الفكر.
٢٣.الرضي. (١٩٩٦م). *شرح الكافية*. (ط٢ ). بنغازي. جامعة قار يونس.
٢٤.ريكور، بول. (٢٠٠١م). *من النص إلى الفعل*. (ط١ ). ترجمة: برادة، محمد و بورقية، حسَّان. الهرم. مصر. عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية.
٢٥.الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله. (د.ت). *البرهان في علوم القرآن*. تحقيق: ابراهيم، محمد أبو الفضل. القاهرة. دار التراث.
٢٦.الزمخشري، أبي القاسم جار الله. (١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م). *الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل*. (ط٢ ). تحقيق: شيحا، خليل مأمون. بيروت. دار المعرفة.
٢٧.الزناد، الأزهر. (١٩٩٣). *بحث في ما يمكن أن يكون به الملفوظ نصا. نسيج النص. (ط١). بيروت – لبنان: المركز الثقافي العربي.*
٢٨.الزناد، الأزهر. (١٩٩٣م). *نسيج النص بحث في ما يكون به الملفوظ نصا*. (ط١ ). بيروت. المركز الثقافي العربي.
٢٩.السكاكي، يوسف بن أبي بكر. (د.ت). *مفتاح العلوم*. بيروت. دار الكتب العلمية.

٣٠. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين. *همع الهوامع في شرح جمع الجوامع*. تحقـ: هنداوي، عبد الحميد. مصر. المكتبة الوقفية.

٣١. الصبيحي، محمد الأخضر.(١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م). *مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه*. (ط١). الجزائر. الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف.

٣٢. الطبرسي، أبي علي الفضل بن الحسن. (١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م). *مجمع البيان في تفسير القرآن*. (ط١). بيروت–لبنان. دار المرتضى.

٣٣. الطبري، محمد بن جرير. (١٤١٥هـ–١٩٩٤م). *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*. (ط١). تحقيق: د. معروف، بشار عواد و الحرستاني، عصام فارس. مؤسسة الرسالة.

٣٤. العبد، محمد. (٢٠١٤). *اللغة والإبداع الأدبي*. (ط٢). القاهرة. دار المعرفة.

٣٥. العلواني، د.طه جابر. (١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م). *الوحدة البنائية للقرآن المجيد*. (ط١). سلسلة دراسات قرآنية (٣). مكتبة الشروق الدولية.

٣٦. فان دايك، تون أ. (٢٠٠٥م). *علم النص مدخل متداخل الاختصاصات*. (ط٢). ترجمة: سعيد حسن بحيري. مصر. دار القاهرة.

٣٧. فان دايك، تون. أ. (٢٠٠٠م.). *النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي*. ترجمة: قنيني، عبد القادر. المغرب. أفريقيا الشرق.

٣٨. الفراهي. عبد الحميد. (١٣٨٨ه). *دلائل النظام*. (ط١) المطبعة الحميدية.

٣٩. القرطبي، أبي عبد الله محمد بن أحمد. (١٤٢٣هـ– ٢٠٠٣م). *الجامع لأحكام القرآن*. المملكة العربية السعودية. دار عالم الكتب.

٤٠. قطب، سيد.( ١٩٧٢م). *في ظلال القرآن*. (*الطبعة الشرعية الثانية والثلاثون*). القاهرة. دار الشروق.

٤١. مانغونو، دومينيك. (1428 هـ –٢٠٠٨م). *المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب*. *(ط١)*. ترجمة: محمد يحياتن. الجزائر. الدار العربية للعلوم– ناشرون.

٤٢. هاينه من، فولفجانج و فيهفيجر، ديتر. (١٤١٩هـ – ١٩٩٩م). *مدخل الى علم اللغة النصي*. ترجمة: د. فالح بن شبيب العجمي. المملكة العربية السعودية. جامعة الملك سعود.

٤٣. واورزنياك، زتسيسلاف. (١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م). *مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص*. (ط٢) ترجمة: سعيد حسن بحيري. مصر– القاهرة. مؤسسة المختار.

٤٤. يقطين، سعيد. (٢٠٠١م). *انفتاح النص الروائي النص والسياق*. (ط٢). الدار البيضاء– المغرب: المركز الثقافي العربي.

## البحوث المنشورة في الدوريات الورقية

١. د. البستاني، بشرى حمدي ود. و المختار، وسن عبد الغني. (٢٠١١م). في مفهوم النص ومعايير نصية القرآن الكريم. *مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية*. (مج ١١، ع ١).

٢. د. عبد الزهرة، سيروان و مزعل، خالد توفيق . (٢٠١٤م). القرآن بين مصطلحي النص والخطاب قراءة في ضوء التراث والدرس الحديث. مجلة الكلية الاسلامية الجامعة. (الاصدار ٢٤).

٣. د. مزعل، خالد توفيق. (السنة العاشرة ٢٠١٦). مصطلحا (البنية الكبرى والبنية العليا) عند فان دايك مقاربة في المفهوم، والمعيار، والوظيفة. مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الإنسانية. (ع١٨).

٤. لحلوحي، فهيمة. (جانفي وجوان ٢٠١٢) علم النص: تحريات في دلالة النصّ وتحرياته. مجلة كلية الآداب واللغات. (العددان العاشر والحادي عشر) جامعة محمد خيضر –بسكرة.

**البحوث المنشورة في الدوريات الالكترونية:**

بنكراد، سعيد. (٨/مارس/٢٠١٧). ألجيرداس كريماس ترسانة السيميائيّة. صحيفة الاتحاد.تم الاسترجاع من الرابط:

https://www.alittihad.ae/article/14260/2017

**Research sources:**

The Holy Quran

Ibn Al-Hajeeb. (2010). Comprehensive Syntax. First Edition. Verified by: The poet, Saleh Abdul-Azeem. Cairo. Arts Library.

Ibn Kauthair, Abi al-Fidaa Ismail bin Omar. (1420 AH, 1997 AD). Great Interpretation of the Qur'an. (2nd Edition). Verification: Sami bin Mohammed Al-Salama. Saudi Arabia. Teeba House for Publishing and Distribution.

Al-Estrabadi, Al-Radhi. (1998). Explanation of Comprehensive Syntax. Beirut. Dar al Kotob al ilmiyah.

Andalusian, Abu Hayyan. (2010 AD). AlBahar AlMuheet, verification: Adel Ahmed Abdel-Mawgoud and Ali Mohamed Moawad. (3rd Edition) Beirut - Lebanon. Dar al Kotob al ilmiyah.

Brinker, Klaus. (1425 AH - 2005 AD). Linguistic Analysis of the Text is an Introduction to the Basic Concepts and Approaches (First Edition). Translation: Saeed Hassan Beheiri. Cairo. Al Mukhtar Institute.

Al-Beqai, Burhanuddin. (1404 AH - 1984 AD). Structure of Surats and Ayaas . Cairo. Islamic Book House.

Bin Ashour, Mohamed Al-Taher. (1984 AD). Editing and Enlightenment. Tunisian Publishing House.

Paul, Brown, George. (1997 AD). Discourse Analysis. Translation: Muhammad Lutfi Al-Zulaiti and Munir Al-Triki. Riyadh. Publications of King Saud University.

Todorov, Zefitan. (2004 AD). Ayyash, Munther. (Prepared and translated). Marking and Text Science with translated texts. (First Edition). (p.109 - p. 119) Casablanca - Morocco. Arab Cultural Center.

Hassan, Tamam. (2000 AD). Rhetorics in the Masterpieces of the Qur'an. Cairo. Alam Al-Kotoob.

Al-Kudari. (2005 - 1426 AH). Al-Khudari Footnote to Ibn Aqeel Explanation on Al-Alfiyya of Ibn Malik. (2nd Edition). Explained and commented on by: Turki Farhan Al-Mustafa. Beirut, Lebanon. Dar al Kotob al ilmiyah.

Khatabi, Muhammad. (2006 AD). Linguistics of Discourse is an Introduction to the Harmony of Discourse. (2nd Edition) Beirut - Lebanon. Casablanca-Morocco. Arab Cultural Center.

Dr. Fadl, Salah. Rhetoric and Text Science. (August 1992). Alam Al-Marifa Series (164).

Dr. Al-Bustani, Mahmoud. (1422 AH). Structural Approach in Interpretation. (First Edition). A Series of Contemporary Islamic Issues. Beirut, Lebanon. Dar Al-Hadi.

Dr.. Al-Bustani, Mahmoud. (1422 AH) The Structural Interpretation of the Holy Quran. (First Edition). The Press Institute of the Holy Razawi Astana.

Dr. Al- Eid, Ali bin Suleiman. (1436 AH - 2015 AD). Briefing in the Sciences of the Holy Quran. (3rd Edition). Riyadh, Saudi Arabia. Tadmur House.

Dr. Behiry, Saeed Hassan. (1997 AD). Text linguistics Concepts and Trends. (First Edition). Cairo. Nubar House.

Draz, Muhammad Abdullah. The great News/ New Studies in the Holy Quran. Kuwait, Dar Al-Qalam.

De Bogrand, Robert, Dressler, and Wolfgang. (1413 AH - 1993 AD). Introduction to text linguistics. (1st Edition). Germanic Linguistics Series. Book No. (115), Kingdom of Saudi Arabia. King Saud University.

De Bogrand, Robert. (1998). Text, Discourse and Action. (1st Edition). Translation: Tammam Hassan. Alam Al-Kotoob.

Al-Razi, Fakhruddin Muhammad. (1401 AH, 1981 AD). The Great Interpretation and the Keys of the Unseen. (First Edition). Dar Al-Fikar.

Al-Razi. (1996 AD). Explanation of Comprehensive Grammar. (2nd Edition). Benghazi. Gar Younis University.

Ricor, Paul. (2001 AD). From Text to Verb. (1st Edition). Translation: Barrada, Muhammad and Burkiah, Hassan.The pyramid. Egypt. Ayan for Human and Social Studies and Research.

Al-Zarkashi, Badr al-Din Muhammad bin Abdullah. The proof in the science of the Qur'an. Verification: Ibrahim, Muhammad Abu Al-Fadl. Cairo. Dar Al-Turath.

Al-Zamakhshari, Abi Al-Qasim, Jarallah. (1430 AH, 2009 AD). Disclosure of Facts and Gossip in Interpretation. (2nd Edition). Verification: Shiha, Khalil Mamoon. Beirut. Dar Al-Marifa.

Al-Zanad, Al-Azhar. (1993 AD). Search in the uttered text. Text texture. (1st Edition). Beirut - Lebanon: Arabian Cultural Center.

Al- Sakaki, Yusuf bin Abi Bakr. The key to Science. Beirut. Dar Al-Kotoob Al-Almiyah.

Al-Suyuti, Jalaluddin Abdul Rahman bin Kamaluddin. The Explanation of the Comprehensive. Verified by: Hindawi, Abdul Hamid. Egypt. The Endowment Library.

Al-Subaihi, Muhammad Al-Akhdar. (1429 AH / 2008 AD). Introduction to Text Science and its Application Fields. (1st Edition). Algeria. Arabic Science House/ Publishers, Al-Ikhtilaf Publications.

Al-Tabarsi, Abi Ali Al-Fadl Ibn Al-Hassan. (1427 AH, 2006 AD). All the Statements in the Interpretation of the Qur'an. (1st Edition). Beirut, Lebanon. Dar Al-Murtada.

Al-Tabari, Muhammad bin Jarir. (1415 AH-1994 AD). The Comprehensive in the Interpretation of the Qur'an. (1st Edition). Verification: Dr. Marouf, Bashar Awad and Al-Harastani, Issam Faris. Al-Risala Institute.

Al-Abid, Muhammad. (2014). Language and Literary Creativity. (2nd Edition). Cairo. Dar Al-Marifa.

Al-Alwani, Dr. Taha Jabir. (1427 AH, 2006 AD). The Structural Unity of the Glorious Quran. (1st Edition). A series of Quranic studies (3). Al-Shurooq International Library.

Van Dijk, Teun A. (2005 AD). Text Science is an Interdisciplinary Introduction. (2nd Edition). Translation: Saeed Hassan Beheiri. Egypt. Cairo House.

Van Dijk, Teun. A. (2000 AD). Text and Context Research Inquiry into Semantic and Pragmatic Discourse. Translation: Qenini, Abdel Qader. Morocco. East Africa.

Al-Farahi. Abdul Hamid. (1388 AH). System Directories. (1st Edition) Al-Hamidiya Printing Press.

Al-Qurtubi, Abu Abdullah Muhammad bin Ahmed. (1423 AH - 2003 AD). The Collection of the Provisions of the Quran. Saudi Arabia. Dar Al-Kotoob Al-alimeyah.

Qutub, Said. (1972 AD). In the shadows of the Qur'an. (Thirty-second Shariah Edition). Cairo. Al-Shurooq
House.

Mangono, Dominic. (1428 AH-2008 AD). Key Terms for Discourse Analysis. (1st Edition). Translation: Muhammad Yahyaten. Algeria. Arab Science House/Publishers.

Heine Min, Wolfgang and Feviger, Dieter. (1419 AH - 1999 AD). Introduction to Text Linguistics. Translation: Dr. Faleh bin Shabib Al-Ajmi. Saudi Arabia. King Saud University.

Ornzyak, Zetslav. (1431 AH / 2010 AD). Introduction to Text Science/ Text Building Problems. (2nd edition) Translated by: Saeed Hassan Beheiri. Egypt-Cairo. Al Mukhtar Institute.

Yaqteen, Saeed. (2001 AD). Openness of Narrative Text, Text and Context. (2nd Edition). Casablanca- Morocco: The Arab Cultural Center.

## Research Papers published in Paper Periodicals:

1. Dr. Al-Bustani, Bushra Hamdi and Dr. Al-Mukhtar, wasan Abdul Ghani. (2011 AD). In the Concept of the Text and the Standards of the Text of the Holy Quran. Journal of Research in the College of Basic Education. (Book Number 11, p. 1).

2. Dr. Abdel-Zahra, Sirwan and Mizaal, Khaled Tawfiq. (2014 AD). The Qur'an between the Terms of Text and Discourse in Light of Heritage and Modern Lesson. Journal of the Islamic University College.

٣. Dr. Mizaal, Khaled Tawfiq. (Tenth year 2016). Van Dijk's Term 'Overall Structure and Superstructure' is an approach to concept, standard, and function. Journal of the College of Education for Girls for Humanities. (P. 18).

٤. Lihlohi, Fahima. (January and June 2012). The Science of Text: Investigations into the Significance of the Text. Journal of the College of Arts and Languages. (The tenth and eleventh issues) Muhammad Khidir University - Biskra.

## Research Papers Published in Electronic Periodicals:

Pinkrad, Saeed. (8 / March / 2017). Algirdas Kremas Semiotic Arsenal. Al-Ittihad newspaper. Retrieved from the link:
https://www.alittihad.ae/article/14260/2017

# Reference with the Pronoun in Surat Yassin
# A Study of Textual Cohesion according to Van Dijk's Model of Textual Analysis

**Dr. Shafaq Yusuf Jadou**
Shafaq@coeduw.uobaghdad.edu.iq

## Abstract

This research sheds light on the function of the pronoun as a tool of textual cohesion in Surat Yassin, based from theoretical and procedural perspectives on the model of textual analysis for Teun A. Van Dijk, who has laid the foundations for a pragmatic syntactic approach in understanding the text and analyzing it in a syntactic manner, and by adopting constructive statements of a total nature, the most important of which is the " Macro structure". Depending on this, the analysis of the surat text, on the deep thematic level reveals the effects of the textual unity of the surat in spite of the multiplicity in the theme patterns in the text, by showing the primary function of pronoun reference: providing the semantic tool that serves the cohesion of the text, and, carries its thematic structure.

**Key words: Reference, Pronoun, Cohesion, Text**